

السياحة الثقافية والبيئية من جديد

بقلم: عبد القادر الهاني

عاد الحديث هذه الأيام عاليا وبقوة لافتة حول موضوع السياحة الثقافية والبيئية، بعد أن كان هذا الموضوع قد طرح في منتصف العشرين الأولى من هذا القرن الذي نحن فيه، ونال نصيبا وافرا من النقاش وشمل كل الجهات وعوّلت عليه بالخصوص كل الجهات الداخلية وهي التي تمتلك رصيدا هائلا من المعطيات التراثية والبيئية الكفيلة بأن تكون السياحة فيها مزدهرة ازدهارا غير مسبوق. ما جعل الأهل في هاتيك البقاع يستبشرون بانفتاح بابا واسع لتنمية واعدة، أن مجلة الإتحاف نشرت في العدد 156 لشهر أفريل عام 2005 ملفا عن السياحة الثقافية في جهة سليانة ليشمل تقديم ودراستين الأولى آفاق السياحة الثقافية والبيئية بجهة سليانة والثانية بعنوان السياحة الثقافية بولاية سليانة معززين بمواضيع أربعة: ولاية سليانة منجم للتراث، كسرى لوحة فنية هي الروعة ذاتها النظام الغذائي والكيميائي بمنطقة الزريبة لمحة فنية عن التطور التاريخي لمنطقة الزريبة.

غير أن هذا الأمل لم يعمّر طويلا إذ خفتت الأصوات ثم غابت وليس لهذا من سبب مقنع سوى بالسلطة وقت كانوا منهمكين في نخب المؤسسات الاقتصادية الجاهزة وبالتالي ليس لهذا من سبب مقنع سوى أن المسار لذلك عملوا على إرجاء البت في هذا الأمر إلى حين الفراغ مما هم فيه وقت إذن.

وتم لهم ذلك في ظل هيمنتهم على الوضع السياسي ما سمح لهم بالسيطرة الكاملة على القطاع الاقتصادي واحتكاره الكامل والاستفراد به.

واليوم وبعد ثلاث سنوات من ثورة الحرية والكرامة عاد الاهتمام من جديد بالسياحة الثقافية والبيئية بحثا وتدقيقا، مما أعاد إلى الأذهان ما كان قد استقر فيها من الاقتناع التام بكونه رافدا مهما ينبغي التعويل عليه في إخراجنا مما نحن فيه من ضنك عيش وبطالة عالية، ولن يتأتى ذلك إلا بالشروع الفوري في تنفيذه، وإنه إذا تم ذلك فإن كل الجهات الداخلية والحدودية الغربية ستصبح محلا نحل دائبة وحظائر عمل نشيطة، لأنهما جميعا جهات تزخر بالمواقع الرائقة والمعالم الأصيلة والينابيع الثرية الدافقة والتي تعج بمواطن النضارة والجمال والبهاء.

وهكذا تحصل الاستفادة للمقيمين بتلاء الجيوب وقضاء الحاجات وراحة البال للبنين والبنات، وللزائرين صحة الأبدان وشفاء النفوس ووصفاء الأذهان.

من وجه الاستعمار الفرنسي البشع:

لعبة الظهير البربري في المغرب

والمؤتمر الأفخرستي بتونس

الخطوة والهدف والانكسار

(3)

بقلم: محمد الصادق عبد اللطيف



1) المؤتمر الأفخرستي والغاية منه

يقول أسقف قرطاج الرجمي محمدا الغاية بكل وضوح إن الفكرة العظمى التي كانت تدور بين جنبي (سان لوي) والتي ورثها عنه (الكردينال لا فيجري) هي التي تدفعنا اليوم إلى عقد هذا المؤتمر. إن مؤتمر قرطاجنة سيكون (حملة صليبية) جديدة ملؤها الكرم المسيحي والعقيدة النيرة).

وفي مقال للكاتب الفرنسي (موران¹) نشر بمجريدة (تونس الفرنسية) أن المسيح سيتحول في طرقات وساحات قرطاجنة التي ارتوت بدماء شهدائنا وستشاهد تلك الشعوب المختلفة من يهود ومحمديين ويونان وحيش² ولاتين يتساقون للركوع تحت قدميه) لقد غصت شوارع مدينة تونس بالرهبان من جميع أنحاء الدنيا حتى أصبح المرء لا يستطيع الخروج إلى الشوارع وكان مع الرهبان شبان يرتدون ملابس تشبه ما كان يرتديه أفراد الحملة الصليبية الثامنة التي قادها الملك الفرنسي (لويس التاسع) المعروف باسم (القديس لويس)

¹ كان الحرص على إثارة فكرة المؤتمر الراهب الفرنسي (ريمون مرتان) أستاذ اللغة العربية بدير الدومنيكان بتونس وصديق الخليفة الحفصي المستنصر 1270هـ.

² كان القدامون للمؤتمر من فرنسا إيطاليا مالطة بلجيكا- هولندا ألمانيا انكلترا أمريكا المولونيا تشكو- سلوفاكيا أومينيا سوريا الروس وسانروماتيا.

وكان هؤلاء الشبان مرتدين ملابس قساوسة القرن الثالث عشر ورافعين أعلاما بيضاء مكتوبا عليها (الصليبية التاسعة، أي أننا دخلنا تونس التي لم يستطع لويس التاسع أن يفتحها في عهد المتصر بالله سنة 1270م).

2) الصبغة التبشيرية للمؤتمر

لسنة 1930 خطورة كبيرة في تاريخ المغرب العربي إذ فيها تحدي الاستعمار الفرنسي ومن ورائه الكنيسة الشخصية العربية الإسلامية بتنظيم احتفال بمرور المائة سنة على احتلال الجزائر والخمسين سنة على احتلال تونس وذلك بتنظيم هذا المؤتمر العالمي الكنسي بتونس (قرطاج) ذلك إنهم يعتبرون أن البلاد التونسية أرضا تابعة للتراب الفرنسي ومدينة قرطاج رقعة مسيحية تغني بها (فير يجيل) وزكاها دم فرنسا (أي موت القديس لويس التاسع بمها) والذي قدم إلى قرطاج على رأس الصليبيين ومات بها موبوا ولذا يعتبر (لوي برتسلان) تونس أم الكنائس الإفريقية والواجب بقضي إدماج المغرب العربي بأقطاره الثلاثة في التراب الفرنسي إذا اعتبروها بقايا (لاتينية) ومقاطعات لا تنفصل عن الوطن الأم ولذلك استقدم الصليبيون الجدد الوفود (كغزاة) لدار الإسلام وسما كرتفالمهم (جملة صليبية قربانية) وعددوا انتصاراتهم بتعداد من اعتنق المسيحية من بين المسلمين على أيدي المبشرين وتبححوا بأن فرنسا ساعية بكل جهد لتصير الأفارقة المسلمين المتخبطين في (ظلمات الإسلام والوثنية) حسب زعمهم يبدو تعصبهم الديني فما يلي:

- 1) العداء لأهل البلاد والرغبة في تنصيرهم كلفهم ذلك ما كلفهم (يدعم من السلطة وبالإغراء وبالقمع).
- 2) إماطة اللثام عن نواياهم التبشيرية في مؤتمرهم الدائم.
- 3) اكتسحوا المدينة العتيقة لنصب مكتبهم الدائم
- 4) إنهم يرفعون وسط الكنائس وفي ساحات المدارس (راية الصليبيين) ويطنبون في وصف قدوم الملك القديس (لويس التاسع) إلى تونس على رأس الغزاة.

(5) انتخبهم آلافا من فتياهم وفتياهم وألبسهم الزي الصليبي للاستعراض الضخم في شوارع تونس.

(6) قدموا القرايين إلى ضحايا المسيحية في الملعب الأثري بقرطاج.

(7) ظهور عديد الكتب التي تمجد هذا المؤتمر وتدعوا لإنجاحه ودعمه.

(8) رصد مليوني فرنك من الميزانية التونسية لدعم المؤتمر والإنفاق عليه وعلى الحاضرين فيه.

(9) وزعوا على فقراء البادية (صلباناً) صغيرة من الخشب وأغصانا من الزيتون وخبزاً ويدعون أن فيه (دم المسيح) وكثيراً ما يطوفون بشكل (مظاهرات) رافعين أعلام الكنيسة مترغين بأناسيد ضمنوها أنهم يسعون لمداية هذه البلاد إلى (للمسيحية) التي كانت عليها من قبل وأنهم يستعينون بالله على الوصول لهذه الغاية.

(3) ردود الفعل الوطنية

قاوم الوطنيون بكل جرأة وشجاعة وإيمان هذا المؤتمر ومنظميه وأبعاده الدينية والسياسية وذلك بـ

(1) بالمظاهرات الصاخبة والرفض المطلق لفكرة المؤتمر وتنظيمه على الأرض التونسية وحضور الطغمة الرهبانية التي ما تزال تحمل الأحقاد الدينية لأهل البلاد ولكل المسلمين.

(2) بالإضراب عن العمل وغلق الدكاكين وتوجيه البرقيات التي يبرز فيها أصحابها التضامن التام لدرء الخطر مهما كانت التضحيات.

(3) بالاجتماعات المتتالية في نوادي الحزب وبجامع الزيتونة الأعظم والتي فيها كشف الخطأ عن نوايا أهل الكنيسة ورجال السلطة الاستعمارية من وراء التبشير.

(4) تصدى تلاميذ (الجامعة الزيتونية والصادقية) لكل ما من شأنه أن يمس عقيدة الأمة التونسية المسلمة وما يضر بسمعتها كأمة (معمدية) وقد رد البوليس الفرنسي على هذا التحرك بتطويق (جامع الزيتونة) لمنع تسرب المظاهرات منه ولكنها خرجت وتصدى سبعة آلاف طالب زيتوني ومدرسي لكل تحرك بوليسي مهما كثر.

5) الاحتجاجات الكتابية التي تقدم بها المواطنون إلى سلطة الحماية وإلى الوزير الأكبر وإلى الباي.

6) المحاكمات التي شاهدها المحاكم الفرنسية لم تفت من ساعد المواطنين ولم ترهبهم الأحكام ولم تفت في إيمانهم الصلب القوي لا مظاهرة القوة ولا البوليس ولا الجيش ولا الجند رمة.

7) ردود فعل الصحافة الوطنية التي نقلت بالكلمة والصورة ما جد ويجد من ردود الفعل والصدى الطيب لهذا التحرك الذي يدعمه الشعب التونسي برمته للذود عن دينه وعقيدته ووطنه.

8) الدعم الشبائي من خارج تونس (طلبة شمال إفريقيا في فرنسا، رواق المغاربة بالأزهر الشريف) كلهم ينددون بهذا المؤتمر الأفخرستي الذي ينعقد في تونس الأرض المسلمة ويضمون أصواتهم إلى أصوات إخوانهم المسلمين في كل بقاع الدنيا.

4) إخفاق المؤتمر

بهذا الرد الديني الصادق لم يقدر رجال الكنيسة على القيام بما كانوا ينوون القيام به من الأعمال التبشيرية بسبب الصدمة التي لاقوها من غضب الرأي العام ورفض الأوساط المسلمة التعاون معهم ولم تزد الاحتفالات الرسمية للمؤتمر على الثلاثة أيام وقد جعل نائب (البابا) منها يوما للاعتراف والثاني للغفران والثالث للتبريك ولم تقتصر الاحتفالات على الدعاية الدينية بل هناك شيء من الدعاية السياسية فالرهبان الإيطاليون يتحدثون إلى المسلمين بأن هؤلاء يرجعون إلى أرومة رومانية وأن في سحنة وجوههم دليلا قاطعا على صحة هذا الزعم وأن العرب لم يغيروا غير اللبس والمعتقد اللذين يسهل تركهما واعتناق مجد روما. وكذلك عمل الأسبان والألمان وإصراهم من الطوائف الأخرى ولكن أي الله ألا أن يخذلهم ويحبط آمالهم وأمانيتهم، وكان النصر للإسلام في هذه الديار بفضل الإيمان القوي وشخصية جامع الزيتونة وإشعاعه وإطاراته الدينية وتغلغلها في النفوس، وامتداد هذا الشعور إلى المدارس الثانوية كالصادقية والعلوية والإيسى كارنو، ثم بالوعي السياسي الذي قوبل به

المؤتمر وأهدافه والرفض له وخطته رغم الدعوات المتكررة من الكنيسة فيما يلي (إننا نحرض المسيحيين ولا سيما من سيجتمع منهم بقرطاج بأن يتהלوا إلى الله تعالى أن يعلي شأن الكنيسة وأن يفيض أنوار المذهب الإنجيلي على الجموع البشرية المنبثة في نواحي إفريقية الفسيحة والذين لا يزالون محرومين للآن من الحقيقة التي هي أمتهم المشفقة عليهم كثيرا).

وإذا كانت الحروب الصليبية هي الحروب التي تدعو إليها (البابوية) متخذة الحروب التي أثرت ضد بني عثمان لا تخرج عن نعتها بالحروب الصليبية. وكانت الحروب التي أثرت ضد المسلمين بالأندلس تتحلى فيها الحروب الصليبية بصفة واضحة جلية. وإذا كانت الحروب الصليبية في المشرق قد انتهت إلى عيبتها المرة فإن الحروب الصليبية في المغرب (الأندلس) قد انتهت إلى انتصار صليبي حاسم انتهت بزوال الإسلام والمسلمين وانتصار المسيحيين.

أبعد هذا نشك في دوافع المؤتمر ونرجعه إلى مجرد (لقاء كنسي عادي).

من خلال هذا العرض نعتقد جازمين بأننا خطة صليبية تاسعة ضد تونس المسلمة هدفها السيطرة عليها وتنصيرها ولكن الإيمان دحض هذه الفتنة وكل فتنة مست عقيدتنا وأعطى لتونس الوجه الإسلامي الذي اختارته وسارت على هديه رغم الاحتلال الذي استمر (75) سنة وقد لاقى فيها الشعب التونسي المسلم من ألوان القهر والتحكم والسيطرة والجور والإذلال. ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون فيحفظ لتونس إسلامها وعروبته رغم هذه المحاولات والله فوق كل متحير عنيد.

ماذا بعد هذا؟

إن فكرة الاستعمار الغربي للعالمين العربي والإسلامي كانت انتقاما من الشرق بعد الحروب الصليبية لأن (البابوية) كانت وراء توجيه شعوبها لقتال المسلمين وذلك بالعمل على:

أديب وناقد من مصر يكتب عن: الرؤيا الإبداعية في أدب محمد مزالي

تأليف : د. محمد عبد المنعم خفاجي

الأديب رشيد الذواودي

د. عبد العزيز شرف

عرض : جمعة محمد جمعة

(القاهرة)

هذا الكتاب من إصدارات دار الكتاب المصري (القاهرة) ودار الكتاب اللبناني (بيروت) سنة 1986 ويقع في 230 صفحة من القطع الكبير، قدّمه للقارئ العربي الكاتب الكبير توفيق الحكيم، وقدم مؤلفوه:

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

د. محمد عبد المنعم خفاجي: الباحث والناقد العربي وصاحب الدراسات الأكاديمية.
الأديب رشيد الذواودي: صاحب المؤلفات القيمة في الأدب التونسي وجماعاته وتياراته.

د. عبد العزيز شرف: الشاعر والأديب وصاحب المؤلفات المشهورة وأهمها "شخصية عمر" ..

يضمّ الكتاب بين دفتيه سبعة فصول، سنتناولها بالإيجاز، فقط بغية توجيه القارئ العربي غلى مطالعته، لأن ما نكتبه يعدّ بضع نقاط في خضم بحر متلاطم الأمواج، فالفكر محمد مزالي موسوعي الثقافة، سياسي من الطراز الأول، والسياسي تعوزه الأفكار قبل أن يحتاج إلى التعبير، ومن مميزات مزالي أنه جمع بين الفكر وسلاسة التعبير وموضوعيته، وأعتقد أن أغلب أفكاره طرحها عمليا في أرض الواقع التونسي

من موقعه السياسي، يكفي إصداره (مجلة الفكر) التي التزمت منذ صدورها عام 1955 بدورها في إبراز الأدب التونسي للعالم العربي، واستيعابها للأقلام العربية الجادة، ومازالت تؤدي دورها دون توقف أو تعثر..

الفصل الأول: ملامح عن الفكر التونسي الحديث

يوضح لنا هذا الفصل دور الفكر التونسي في مواجهة الحماية الفرنسية التي حاولت وبقوة تغيير مسار الهوية التونسية، ونرى نضال (النخبة) مفكري تونس من خلال صحف ودوريات عديدة منها (التونسي، الحاضرة، الزهرة، النهضة، الصواب، العمل، الصباح، المباحث، العالم الأدبي، الندوة، الفكر، التجديد). أيقظ هذا النضال الشعور القومي للشباب التونسي، وكان تأسيس الحزب الدستوري الجديد سنة 1934 بقيادة زعيم تونس الحبيب بورقيبة دفعة قوية ونجاح منقطع النظير للمفكرين والأدباء التونسيين..

لم يمنع الاستعمار أصوات الشابي، وخزينة دار، وعلي، اليهوان، والطاهر الحداد، ومصطفى خريف، ومحمد بيرم التونسي، والعبد الجباري ومحمد العروسي المطوي، ثم محمد مزالي والبشير بن سلامة والشاذلي زوكرار، ومنور صمادح، ومحسن بن حميدة من إثبات هويتهم التونسية، وأصالتهم الوطنية.

وكان لهذا الدور النضالي لأدباء تونس، الفضل الكبير في انتعاش حركة التجديد في الشعر فترى قصائد العروسي المطوي، والشابي وخريف وغيرهم، كما اجتمعت أصوات المثقفين العرب والتونسيون على صفحات (مجلة الفكر) منذ صدورها في بداية أكتوبر 1955، ويرجع إلى هذه المجلة الفضل في إبراز الأجيال الجديدة ومواكبة التيارات الفكرية الحديثة..

كما يرجع الفضل في تواصل الفكر التونسي بالفكر العربي إلى هذه المجلة التي أصدرها محمد مزالي والبشير بن سلامة رفيق نضاله، فلم يعد الشابي وحده شاعر

تونس المعروف على الساحة العربية، بل نازعه الشهرة كثيرا من شعراء تونس الذين أثروا حركة الشعر في تونس، وسأروا التحديد وتطور الفكر وتطور الإبداع..

الفصل الثاني: محمد مزالي وأصالة الفكر الحر

يدور التمهيد في هذا الفصل حول موضوع هام وحيوي ألا وهو التفسير الإعلامي للأدب، حيث تزايد أهمية الاهتمام بالعناصر البصرية على حساب دور الكلمة المطبوعة، وبناء على هذا الفهم فإننا عندما نتحدث عن مقومات الرؤيا الإبداعية في أدب مزالي، نجد من الضروري أن نتناول اتجاهاته ومعرفته وثقافته والبيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي عاش فيها (ص 22) فما هو موقف محمد مزالي من هذه المقومات؟..

يرى المؤلفون انه يحمل أمانة الكلمة ويعبر عنها بوحى من إيمانه، كما يؤمن بحرية الأديب "المطلقة" في التأمل والتفكير والتعبير، وعلى ذلك فالأديب الحق لا بد أن يكون حرا إزاء نفسه أولا حتى يستطيع أن يؤثر في حياة الناس ويساهم في تطوير مجتمعه نحو القيم الإنسانية العليا..

استطاع محمد مزالي أن يحتل مكان الصدارة بأدبه وفكره أولا للثقة بالنفس في إبداعه وثانيا بمواكبة هموم عصره وطرحها كقضايا: (الحرية، الديمقراطية، المفاهيم والرؤى المتجددة)، وتفاعل مع الحياة، وهو يرفض أدب الصالونات، لأنه "يزكي نرجسية الأديب وأحلامه الذاتية بمعزل عن الكون الذي يعيش فيه، أنه أدب لا مسؤول لم يعرف طريقه الحقيقي، ومآله في نهاية الأمر إلى الضياع والتلاشي حتى من ذاكرة القلة القليلة، التي تعيره اهتماما عارضا" (ص 26) ..

ونتيجة للتفاعل بين الأديب والحياة تنبع مسؤوليته عما يكتب، لأن المسؤولية تملي عليه الواجبات وتفرض عليه الالتزامات إزاء نفسه وإزاء مجتمعه والكتابة غده (إبراز

للوجود وتحقيق للممكن، وكشف عما كان مجهولا ودعوة للعقل، حتى يفكر فيما لم يفكر فيه من قبل ويدرك من الأشياء ما لم يدركه ولم يخطر له أن يدركه (ص 36)..
 ويبين الكتاب أن (الرؤيا الإبداعية في أدب مزالي) تكشف عن اتجاه إيجابي نحو ذاته يجعل منه أديبا متفتح النفس لقبول التأثيرات الخارجية مع القدرة على التمييز بينها واختزان هذه التأثيرات واستيفائها حتى تتفاعل وتكون علاقات جديدة.. (ص 44)، وهي ميزة تبين قدرته على توصيل معنى الشعور بالمسؤولية..

الفصل الثالث: صلب الموضوع بين المرسل والمستقبل

"وإذا كان الاتجاه نحو الذات يؤثر على السلوك الاتصالي، فإن اتجاه مزالي نحو موضوعه يرتبط باتجاهه نحو ذاته ارتباطا وثيقا" (ص 51)، وقد بدأ محمد مزالي كتابته وهو طالب بالمدرسة الثانوية في الصادقية، وأصدر (مجلة الفكر) وهو في الثلاثين من عمره إلى جانب العديد من الكتب المؤلفة مثل (الديمقراطية) سنة 1955 ومن (وحي الفكر) سنة 1969 و(مواقف) سنة 1973 وغيرها...
 يبين لنا هذا الفصل أن مزالي اكتسب طرائق التفكير من أبويه والمحيطين به، واطلاعه الواسع على الأدبين العربي والفرنسي. يضاف إلى هذه المكتسبات ارتباطه بالموضوعية، وتطوره مع تطور المجتمع الذي يؤدي فيه رسالته، وفي نفس الوقت تطوره كإنسان يكتسب مع تقدم السن تجربة، وقدرة تهيء له الحكم على الأشياء والدقة في التحليل الموضوعي للواقع، ولعل ذلك يبدو في غاية الوضوح من خلال افتتاحيات (مجلة الفكر) على امتداد سنوات صدورهما، يقول عنه الأستاذ البشير بن سلامة: (ذلك أن الافتتاحية الواحدة تتضمن في أكثر الأحيان مواضيع عديدة، ولكنه يحرص على أن يوجد توازنه في محاولة البحث عن وحدة شكلية تامة بين أغراض متنافرة وأفكار متباعدة باختيار الفقرات للتوازنة التي تنطلق من البدء متصاعدة لتتزل في آخر فقرة وقد صرفت أقصى ما يمكن من الطاقة الخلاقة) (ص 55)، هذا الالتزام الواعي

يؤكد نجاح مزالي في إيجاد التوازن بين التزامه السياسي بما ينطوي عليه من مهام خطيرة ومشغل وكفاحه في سبيل حرية الفكر والأدب، وقد نجح مزالي من الوقوع في التناقض بين نفسه كمفكر والتزامه كسياسي، ولم تتناقض أقواله مع أفعاله..

كما يضم هذا الفصل تحليلا لكتاب (وحي الفكر) لمحمد مزالي بين تنوع الاتجاهات الفكرية وخصوبتها ولم ينس دور المرأة وأنها جانب عظيم الأهمية لتطور المجتمع إذا ما تعلمت تعليما صحيحا، كما يبين لنا أن من عوامل (نجاح مزالي) في التواصل مع قارئه يعود إلى التزامه بوحي ضميره في رؤياه لأي موضوع يدع فيه، ومن هنا استطاع أن يؤثر في مجتمعه تأثيرا إيجابيا.. (تكشف رؤيا مزالي عن قدرة بارعة في التعبير عن تجاربه تعبيرا ينقل انفعاله وموقفه إلى الآخرين، الأمر الذي يذكّرنا بنظرية تولستوي في عدوى الفن، حيث تزيد القدرة الاتصالية، إذا كان الشعور الذي ينقله الفن أكثر غرابة، وكانت أداة النقل أكثر وضوحا، وكان الفنان أكبر إخلاصا، أي كان تأثيره أكبر بالشعور الذي يحاول نقله) (ص72).

الفصل الرابع : مجلة الفكر الرسالة هي الوسيلة

يؤكد مزالي (أن الكتاب .. رغم منافسة الإذاعة والتلفزة والإسطوانة .. لا تزال سوقه رائجة وصناعته مزدهرة رائجة ولا يزال الإقبال عليه متزايدا مطردا) .. (ص84).. ويرجع التخلف في العالم الثالث إلى قلة القراءة والأمية الثقافية وسوء الطباعة وسوء التوزيع، وقد اتخذ مزالي لمجلة الفكر منذ صدورها عام 1955 شعار (الأدب رسالة لا مهنة) ..

وتطبيقا لهذا المفهوم قامت (مجلة الفكر) بدورها غير منقوص في تونس، خاصة والأمة العربية إذ أصبحت مرجعا يعود إليه كل باحث، ويلخص المؤلفون خطة (مجلة الفكر) في عدة نقاط:

-الحرص على الأصالة القومية ومعرفة الذات والمساهمة في ثماء الثقافة الوطنية وازدهار الأدب التونسي..

-حرية الفكر وعدم التمسك بالتمذهب أو التقييد بمنهاج دون آخر أو مدرسة دون أخرى.

-إفساح المجال أمام الشباب والتعرف على ملكاتهم ومواهبهم.

-العمل على أساس الهوية، والإيمان بأن الخلق الأدبي والمخاض الفني ليسا من الأعمال التي تقاس بالمادة أو تكفأ بالمال.

وتحت عنوان: (الاتجاهات الفكرية لمدرسة مجلة الفكر) يقول المؤلفون:

"التقى (منير الفكر) مع خيوط ضوء الفجر في سماء الحرية، منير حر وطني ثقافي وفكري وأدبي قام والأمة أحوج ما تكون إليه حاجتها إلى مذهب أصيل، متصل الأسباب بواقع الشعب، مستلهم من ماضيه وحاضره، من تراثه وأصالته، ليحدد الهدف، ويرسم المسيرة، ويخطط للمستقبل المرتقب المشهود).. (ص 105).

"وأصبحت الفكر بروحها الطموح، وحركتها الذاتية، ونهجها المتقدم، مدرسة فكرية كبيرة، تموج بالعديد من التيارات والاتجاهات الوطنية والقومية والفكرية والأدبية على السواء" (ص 106).

"والرصيد الفكري الكبير للأستاذ محمد مزالي ولجلته جعله يركز منهجه الإصلاحية على استعداد مقومات القوة من التراث العربي الإسلامي دون تعصب أو سلفية مقلدة" (ص 107).

"والأدب عند مزالي نشاط فكري، وهو تصوير لانتصار الإنسان والحياة، ابتعاد الأدب عن طغيان السياسة عليه وعن خضوعه لها أمر ضروري، بل ضرورة فكرية، فالسياسة يجب أن تحتدي بنور الفكر لا العكس وحرية الأديب عنصر ذاتي في نخضة الأدب" (ص 109).

الفصل الخامس: مزالي وعبقورية الشخصية القومية

ابتداء من إثبات الذات على مستوى الشخصية وحتى إثبات الذات على المستوى القومي، تمر الشخصية بحياة حافلة من النضال والتطلع إلى السمو بكافة الأفكار، ونحوض تجارب الحياة، ومحاولة تغيير الواقع إلى ما هو أفضل، وبهذا يكون العقل قد تحرّر من حالة الجمود ورواسب الماضي، ولمن يتبع الشخصية التونسية تاريخيا يجد أن الاستعمار الفرنسي حاول استعمارها، وطمس هويتها، مع توسيع الهوة بين الحضارات، حتى وصل الأمر إلى تبلور العنصرية في أوروبا ضد الشخصية العربية.

يقول المؤلفون: (لذلك حرص مزالي على مواجهة هذه الأفكار، والقضاء على الجهل الموروث والمتبادل بين الشرق والغرب، والمساهمة في تيسير التفاهم، وإيجاد التسامح بين الشعوب رغم الفوارق العقائدية والحضارية، التي تراكمت على مر العصور، والعمل بحق من أجل السلم والإخاء البشري)..(ص117).

ويقول مزالي نفسه: (ولطالما تأملنا من جهل الرأي العام في الغرب، بما فيه النخبة في أكثر الأحيان للفكر العربي الإسلامي عامة والثقافة التونسية النافقة إلى التحرر والتجدد والازدهار خاصة، بسبب ما أورثته الحروب الصليبية وعهود الاستعمار من مركبات دنيئة معقدة، وناديننا بحوار نزيه يضمن الارتشاح والتلاقح مع الحفاظ على الطرافة القومية ويوفق في آخر الأمر بين (الأصالة والمعاصرة) في إطار إنساني حي ومتطور)³..(ص118).

وللشخصية التونسية سماتها، التي جعلتها تتصدى لكل محاولات الفرنسة والإدماج الثقافي، وهي كتلك السمات التي يتمتع بها المغرب العربي كله، بل الأمة العربية من المحيط إلى الخليج، وأهم هذه السمات: العادات والتقاليد-التاريخ والحضارة-اللغة-الثقافة العربية-القومية-الدين الإسلامي..

³ مجلة الفكر 1 مايو 1971

ويفرق مزالي بين مفهوم الوطن (الأمة) ومفهوم الدولة، ويذهب إلى أن "العلاقة بين الدولة والمواطن علاقة جدلية"، إذا استقام كلاهما، أمكن للمواطن أن يحيا حياة حرة كريمة، وارتقى شأن الوطن.

ويهتم فيما يكتب بالأساسيات، التي لا بد منها لأي مجتمع ينمو وينهض، يهتم بالتربية وتوجيه الناشئة ومدها بالغذاء الروحي والعقلي والعاطفي، وتنمية شخصيتها لتشعر بالكرامة والحرية ويعمق انتسابها للجماعة، التي تعيش بينها. يهتم بالنظام التعليمي حتى لا تكون الأجيال الجديدة مقلدة للقديمة، وإنما يبغي بث روح جديدة، وعمل جديد للشباب، حتى يبرز الجديد القلم إبداعا وخلقا..

وهكذا أصبحت رؤياه تحمل في طياتها أبعادا تهم عن عبقرية صاحبها، فهو إنساني وعربي وتونسي، إنساني يعبر عن وجدان كافة البشر، وعربي يعتز بلغته العربية في التعبير في إطار الأصالة والمعاصرة، وتونسي في تصوير الحياة التونسية والارتقاء بها ارتقاء بذاتيته وذاتية مجتمعه.. <http://Archivebeta.Sakhr.it>

والثقافة العربية في رأي مزالي: (إيهان راسخ، وروح أصيل، وعمل صادق، لا تخص مجتمع دون آخر لأنها شملت بلدانا كثيرة شرقا وغربا وذلك إبان الفتوحات الإسلامية من ضفاف الأطلنطي غربا وحتى حدود الصين والهند شرقا..).

وتتمثل عبقرية مزالي في تلك القدرة على الجمع بين شتى المعارف، والانسجام الكامل بين نفسه ورسالته كمفكر ومثقف وأديب وعمله السياسي بما يفرضه من مهام طوال ثلث قرن-وقد دعا إلى اللقاء والحوار بين الشرق العربي والمغرب العربي من جهة، وأيضا دعا إلى وحدة المغرب العربي الكبير لمواجهة كافة التحديات..

ويعتبر مزالي أن أعقد للمشاكل، التي تواجه الشخصية العربية، هي مشكلة (الأصالة والمعاصرة)، حيث يترتب عليها تفرعات في شتى مناحي الحياة ومجالاتها، وفي كل مناهج تنمية الشعوب وتربية النشء، وقد أصبحت (مشكلة الأصالة والمعاصرة) قضية

مطروحة أمام الضمير العالمي، بعد أن أخذت المجتمعات الغنية طريقا يتعد عن الأخلاق والقيم العليا متمثلة في البذخ والتبذير..

ويخاطب مزالي المغرب العربي داعيا إلى وحدة الصف: (نحن نبتغي أن نبني لنا وللأجيال من بعدنا مجتمعا مغربيا، إنساني السمات، واضح الذاتية، وطيد الأصالة، مفتوح الطموح مكفول الحاجات، رشيد التصرف، كريم المنزلة، غير منكمش ولا هياب، جم القدرة على الابتكار والإبداع، ونحن ندرك إدراك اليقين أن مثل هذا الهدف الشريف، لا تؤدي إليه غير السبيل العريضة الجادة الواضحة، التي تتلاقى فيها مسيرتنا جميعا، وتتصافر على دربها الجهود والعزائم، وتتصافح الضمائر وتتناسق الطاقات).. (ص 145)..

ولم يكل مزالي على امتداد ربع قرن عن*الدعوة إلى وحدة (المغرب العربي الكبير) ضد الأخطار التي تحيط به، وقد أدرك بوعيه للتاريخ أن الاستعمار يعمل على بث الفرقة والتطاحن والتنافر، وعرقلة جهود التطور والتنمية، ويبين أن طبيعة العصر السياسية تتمثل في الأحلاف المتعددة، وأن تلك الأحلاف تعتبر ائتلافية لأن بلدانها لا تتمتع بما يتمتع به الوطن العربي عامة والمغرب العربي خاصة من سمات مؤلفة بطبيعتها، مجمعة بخيوطها.. ويرى المؤلفون أن أهم سمات الشخصية العربية في أدب مزالي سمتان أساسيتان هما: (وحدة الشعور، والأصالة الدينية)، وبالنظر إلى كل سمة على حدة، نجد أن وحدة الشعور تنبع مقومات الحياة نفسها، ومن سمة الأصالة الدينية تنبع قواعد السلوك والأخلاق في هذه الحياة ..

ويذهب مزالي إلى أن الإرادة الجماعية للحياة المشتركة "التي هي أقوى مقومات الأمم لا تزال تتبلور أنصع فأنصع، يغذيها تراثنا الحضاري المشترك في أشرف مآثره وأبقى قيمه، ويؤكد لها انسجام مصالحنا وتكامل اقتصادنا ويقويها الشعور بالتضامن في السراء والضراء، ويفرضها العصر الحديث، وما نجم عن معطياته المعقدة،

وملابساته المتنوعة من تجمعات وأحلاف وكتل حفظا للكيان واحتياطا من صروف الحدثان" (ص149) ..

وإن كانت وحدة المغرب العربي الكبير دعوة مزالي على امتداد ربع قرن، فيحذر أن أضيف إلى ذلك: "عن هموم المغرب العربي كتب عدد من أهل الرأي والمثقفين التونسيين رسالة مفتوحة إلى كل من الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد وملك المغرب الحسن الثاني يعرضون فيها رأيهم واقتراحاتهم في خصوص توحيد جهود شعوب المغرب العربي الكبير لمواجهة الأخطار، التي تهدده أمنه واستقراره"⁴.

ونقف بعد قراءة هذا الفصل على أهم سمة من مقومات (الرؤيا الإبداعية في فكر مزالي) ألا وهي وحدة الشعور، وترجع إلى إيمانه بأن الشعور الديني أعظم مقوم للشخصية العربية الدينية، وأن الدين الإسلامي دين الحرية ودين الأحرار، وأن الشعور الديني: هو الذي وقى تونس من أساليب ومكائد الاستعمار لطمس الهوية وكان أيضا الحافز على النضال والكفاح من أجل الحرية والكرامة الإنسانية ..

الفصل السادس: مزالي وعبقورية الأديب

يقول المؤلفون: (إنّ التفسير الإعلامي للأدب لا ينظر فقط إلى المضمون بل إلى "وسيلة الاتصال" في ذاتها، وإلى القالب الثقافي الذي تعمل في داخله) .. (ص162). وعودة إلى شعار (مجلة الفكر) التي أسسها مزالي سنة 1955 "الأدب رسالة لا مهنة" إضافة إلى إيمانه بحرية الأديب المطلقة، وأن يكون الأديب مرآة عصره، ووحدة الشعور التي تبرز الضمير ومسؤوليته في معترك الحياة، إضافة إلى فطنته في إبراز التشابه في التجارب الإنسانية ويجعل ذلك أنه يملك الشجاعة والعزيمة والإقدام وحسن النية والتواضع والأمانة وبما قد استوفى موهبة الاتصال، وحقق للمشاركة الوجدانية الفعالة، وأحس به قارئوا أدبه وشاركوه في انفعاله وتذوقه الفني ..

⁴ جريدة الأهرام القاهرة : العدد 36379 بتاريخ 16-7-1986

ومن خلال هذا الاتصال استطاع أن يحشد افتتاحيات (محنة الفكر) بآرائه الفلسفية والاجتماعية والنفسية وعبر عن مشاكل العصر، التي تمس كل مشارك في الإنسانية. ولقناعتة بذاته وبأفكاره، التي يطرحها فإنه يؤكد (أن الأدب تصوير أمين رائع لمعاناة الإنسان وتجربته في الوجود ومجاهدته للأهواء وصراعه، مع الكون وطموحه إلى التأثير فيه والسيادة عليه)..(ص170).

وتشغل (الأخلاق) أفكار مزالي، وتأخذ الحيز الأكبر من فلسفته للحياة والكون، إذ أنه يعرف أن أي إنسان له موقف، وهذا للموقف يبين علاقة الفرد ببيئته والآخرين في وقت ومكان محددين ويقول: (أنت ترى أن غايات الناس - في ميدان الأخلاق- كثيرة متنوعة، لأن القيم العليا التي تحلو بهم كثيرة متنوعة، وذلك راجع - كما حاولنا أن نبين- إلى أن استجابات الكائن الحي الناطق لنفس المنبه لا تكون متماثلة ومتجانسة أبدا..) (ص 176).

ويتعرض مزالي لنظرية المفكر (الدوس هكسلي) في كتابه (الغاية والوسائل) وتوفيق الحكيم في موضوع مبدأ الأجيال القادمة من كتابه (فن الأدب)، ويخلص من استعراضه إلى " أنهما أثبتنا وجود الشر في هذه الحياة وتغلبه على الخير" ... (ص 180).

الفصل السابع - مزالي و عبقرية الشخصية العربية:

ومدخل هذا الفصل يدور حول دور الأفكار في وضع السياسات، وكيف تطورت من الفردية إلى القوى الاجتماعية، حيث أثبت علماء الاجتماع أن برامج الأحزاب السياسية أو نظريات المفكرين، هي بنت بيئتها الاجتماعية، وأن نمو الفكر لأي مجتمع هو نتيجة عوامل سياسية واجتماعية. وهذا ما يحدد للفكر جنسيته، و يكون نتاج ذلك نمو القوميات، ومن خلال أفكار مزالي، نرى اهتمامه بالمشاكل الرئيسية في الطابع القومي للأمة العربية والذي يظهر بصورة أكبر في الدين والشعر والفن، حيث كان تأثيرهم أكثر قوة من الفلسفة نفسها.. إن الثقافة عند مزالي: هي روح الشعب"

وهي التي تنجب القيم الجديدة وتضع الأسس والأمثلة لما ينبغي أن تكون عليه المجتمعات والحضارات في مختلف العصور... ص 190.

ويرى أيضا أن العالم أصبح قرية كبيرة، ومفروض أن توضع قواعد علاقات جديدة بين الشعوب تنوحي (العدل والإنصاف) حتى يمكن حل كافة المشاكل الإنسانية الكبرى، و قد ذكرنا آنفا دعوته إلى حوار الحضارات من أجل مستقبل أفضل لكل البشر.

ونرى مزالي يدافع بحماسة عن الثقافة العربية الإسلامية قديمها وحديثها، ويطالب بالحوار بين الثقافات المختلفة، حيث يمكن الاستفادة من كل ثقافة في بناء صرح ثقافة عالمية تنأى بالمجتمع البشري بعيدا عن عوامل الفرقة والحروب، وحتى لا يجر تيار فلسفي أمة من الأمم إلى تيار الشر كما حدث في الحروب الكبرى.

يقول مزالي: فلقد مضى عدد من المستشرقين والمؤرخين الموسوعيين منذ قرون يصورون العرب والمسلمين في صورة مشوهة ويعطون عنهم فكرة مبتورة بمحفة فأثروا بذلك في كثير من الأجيال في الغرب، و جعلوا هذا الاحتكار مشروعا، و أباحوا الاستعمار وحروب " التهدة" و برروا كل الأعمال التي اضطلع بها المبشرون و للأجور والمستعمرون من أجل " إبعاد" الأهالي رغما عنهم، ذلك أن صلف اليقين بتفوق الرجل الأبيض مريح للضمير... ص 197.

وتتمة لفكرته عن حوارات الحضارات يدعو إلى إعادة كتابة التاريخ الإنساني وتطهيره من الشوائب التي علقت به منذ قرون.

وفي (التفسير الإعلامي للأدب)، يؤكد المؤلفون على أهمية دراسة العناصر النفسية في الإدراك والتذكر، ذلك أن الإنسان يتلقى المدركات، ويختار ما يتعرض له من أعلام، ويتذكر ما يريد أن يتذكره، وفقا للعوامل النفسية، والاستعدادات والاتجاهات والقيم، كما يلاحظون أثر الجماعة في تكوين إطار التأثير من خلال النظام السياسي،

والاقتصادي والثقافي للجماعة، فالاستجابات التي تحدث نتيجة لمثير معين، في موقف اتصالي معين لا تحدث بطريقة آلية أو كيميائية، كتأثير الضوء على السطح الحساس مثلا، وإنما تعتمد على محصلة العوامل الشخصية والقوى الثقافية التي يمثلها كل شخص في الموقف، فكلما كان الأديب والمتلقي يتفاهمان في إطار دلالي واحد، كان ذلك اقرب ما يكون إلى أحداث الأثر.. (ص198، ص199).

وفي كتاب (حديث الفعل) للأستاذ مزالي الذي جاء على شكل حوار أجرته معه السيدة (كسافيار ايلوس) كوزير أول، وشمل عدة فصول تبين خلاصة تجربته في الحياة، وهو امرأة حقيقية مسيرة تونس بقيادة المجاهد الأكبر الحبيب بورقيبة. وقد أثار هذا الكتاب ضجة كبرى، حيث تناولته مؤلفته بالتحليل، وقامت وسائل (الإعلام الغربية) بتغطية واسعة له، نظرا لمكانة صاحبه في مسيرة أمة حديثة تعمل من أجل الديمقراطية والخير والاستقرار..

وقد أصدر الأستاذ المتصرف القيظوني التونسي المقيم في كندا كتابا باسم (تفكير

الأستاذ مزالي) تناوله المؤلفون في دراستهم التي بين أيدينا ومما جاء فيه:

- "وقد زادني قربا من أفكار محمد مزالي لإيمانه الجارف بقدرة الإنسان الجبارة على قهر الواقع المتعنت" (ص 210).

- "والقضية العامة في أدب مزالي، هي (قضية الحرية) حيث يذهب إلى اعتبار الوجود الإنساني فعلا انتقالا شعوريا من الإمكانية إلى الواقعية" (ص 212).

- "إنه متفتح مؤمن بحرية الرأي محترم للفكر المخالف إلى جانب إحساسه العميق بالمسؤولية" (ص 214).

- "ويقر اليوم عدد كبير من المفكرين بضرورة اكتشاف التسامح والتواضع من جديد والاعتراف بأن المستقبل لا يمكن التكهن به في بساطة وسهولة" (ص215).

وها نحن نرى أن الدارسين: قد عكفوا على دراسة أفكار مزالي لما فيها من موضوعات تمس صميم الحياة سواء على المستوى الإقليمي في تونس أو مستوى الأمة العربية وأيضا على المستوى الإنساني عامة، ونرى اعتزاز مزالي بدينه وتراثه الإسلامي ويقول: (إننا ننادي بالأصالة فنعيش مع الماضي والتراث، ومع الدين والقرآن الكريم، ومع اللغة والعلوم الإنسانية والعربية، ومع حضارة أمتنا الإسلامية وتاريخها المجيد، عيشة كاملة نتذوق كل ما في كنوز التراث من جلال وجمال وروعة وسحر، ونتفع به ونثري به حصيلتنا من المعرفة والعلم، وفي الحديث الشريف (أطلبوا العلم ولو في الصين) .. (ص218) ..

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وبعد هذا العرض (للرؤيا الإبداعية في أدب محمد مزالي) فإننا نقدر الجهد الكبير الذي بذله المؤلفون الثلاثة في رصد السمات الأساسية لرؤيا مفكر وأديب سياسي، له بصمات راسخة ودور فكري بارز، سواء بمؤلفاته، أو بمجلة الفكر التي أصدرها عام 1955، لتكون معبرة عن الآمال والأمان بثقافة عربية واحدة، ومنهاج تربوي واحد، ورؤيا للتراث واحدة، ونظرة إلى المستقبل واحدة..

وبقي أن يقول لنا أدباء تونس ومفكرها : هل استفاد الواقع التونسي -فيما يخصه- من أفكار الأستاذ محمد مزالي حيث أتاح له موقعه في مسيرة التحرر والنهضة تحت رعاية الحبيب بورقيبة إمكانية تلاقي الفكرة النظرية مع التطبيق العملي لها ؟؟؟..

"هناك في فجّ الريح" لعبد الرحمان مجيد الربيعي سفر جديد بين جزئيات الحاضر وارهاسات الماضي بقلم: مسعودة بن بوبكر

عبد الرحمان مجيد الربيعي أديب عربي عراقي الأصل والمولد له إنتاج غزير في الرواية والقصة وترجم إلى عديد اللغات وكان حول أعماله عديد الدراسات الجامعية والبحوث. من أشهر أعماله: (السيف والسفينة) عام 1966 وقد تحولت إلى فيلم. الوشم 1972، الأنهار 1974، القمر والأسوار 1976، الزكر 1980، خطوط الطول وخطوط العرض. أعمال نقدية نذكر منها "من سومر إلى قرطاج" مارس التدريس والصحافة والعمل الدبلوماسي في لبنان وتونس. وكان المستشار الصحفي العراقي في بيروت بين 1983 و1985. وعضو في اتحاد الكتاب العراقيين ونقابة الصحفيين في العراق وجمعية الفنانين التشكيليين بالعراق. درّس الفن في مدارس الناصرية.

لكنّه اهتم بالعمل الصحفي والتأليف أكثر من الفن التشكيلي الذي اكتفى به كهواية.

ومما جاء في التعريف به في موسوعة ويبيديا: (هو من جيل الستينيات هذا الجيل لم يكن قطريا، وإنما يكاد يكون عربيا، فكل الذين كتبوا في تلك الفترة كانوا متقاربين في أعمارهم وهمومهم، ومعاناتهم من أجل طرح تجاربهم، التي كانت تن تحت ثقل الرقابة الاجتماعية من جهة، ورقابة النقد الماركسي من جهة ثانية.

ما هي الأسس التي تقوم عليها نظرية الربيعي في القصة؟

من خلال ما سبق، إن الربيعي كان يحمل هم التأسيس لقصة مغايرة، قصة ذات سمات وملامح وهوية عربية. كان يحاول مع جيل الستينات تكسير الحدود الجغرافية، والتثقوبات القطرية، لخلق خطاب بجغرافية اللغة العربية. فكبر طموحه عندما كثرت المجالات التي تصدر في البلدان الأخرى (مصر)، وبدءوا يبحثون عن منافذ أخرى، حتى لا تبقى النصوص رهينة الوسط والضغط القبلي للكتابة، كما أسماه. كان يريد للنص أن يفرض حضوره، رغما عن مسطرة النقد الماركسي التي كانت تخضع العمل الإبداعي للنظرية أكثر مما تخضعه للقيمة الإبداعية التي يحملها، في حين كان الربيعي يريد لنصوبه أن تكون ابنة الواقع شاهدة عليه، رافضا شحنها بالشعارات..

هذه الرقابة جعلت بعض الكتاب والشعراء في جيله حينذاك يكتبون خارج البلد، بحثا عن هواء نقي للأدب. (يقيم في تونس وهو عضو هيئة تحرير مجلة الحياة الثقافية).

صدرت رواية هناك في فج الربيع سنة 2011 عن دار نقوش عربية.

تعدّ هذه الرواية تفصيلا من جذارية كبيرة للملحمة إنسانية تضمها مدونة عبد الرحمان مجيد الربيعي امتدت بالكلمة من مجموعة السيف والسفينة أول منشوراته وكان ذلك في 1966 وما تلاها من أعمال وقد فاقت الأربعين، وصولا لهذا العمل الروائي، وربما تجاوزه المؤلف لعمل جديد قادم على الطريق.

هي تفصيل من ملحمة الإنسان ومعاناته، مشدودا إلى وتر بين الحياة والموت، بين الخير والشر، بين الأرض والسماء، بين طموحه وخذلانه، بين الأمل واليأس، بين الحق والباطل، وبين الوطن والمنفى، وبين أوار الجسد وأثقاد العقل.. مراتب مختلفة ومتفاوتة عبرها الإنسان متقلب المصير محاصرا بين ماضيه وحاضره لا يملك من غده شيئا... حالة تطرحها حلّ أعمال الربيعي من خلال أبطاله الإشكاليين، ضمن أعماله الروائية خاصة نذكر منها الوشم والوكر وخطوط الطول وخطوط العرض وكذلك ضمن ما يرد من شهادات الكاتب الحية عبر خارطة السير التي تميّز عقّد أعماله، سيرة وطن ومدن

وأناس وأحداث ... على الجدارية الكبيرة يبرز الوطن بالمستوى الأول، وطن الكاتب ذاك العراق العريق ... العراق منطلقاً ومآباً يحمله الكاتب قطعة شهد بحلاوة لا تضمحل، ويحمله مضغة مرارة لا اللسان قادر على لفظها، ولا الحلق قادر على جذبها وابتلاعها، ويحمله كذلك شلوا جريحاً تقطر دماؤه في نزع متصل لا الروح تتركه ولا الفرج يأتيه، ومن العراق يمرق بالضرورة إلى الوطن الكبير ويحمله وديعة وقضية ملتزمة عبر المنفى وعبر المدن العربية المفتحة لأوجاعه والتي ينتقل بينها الكاتب .. فيصبح الريعي العراقي الفلسطيني التونسي المغربي المصري السوداني تعرفه ديار العرب ويعرفها ويشقى وهو يعي بالحن التي تتناهش الأمة والإنسان العربي في موطنه أو حيثما كان خارج حدود الوطن في المهجر والمنافي. يترجم عبد الرحمان مجيد الريعي ذلك كتابة (إذ غلب القلم والمداد الريشة والألوان فهو الرسام ومدرس الرسم في زمن ما) يكتب معتلياً سدة السرد ليستمر عبر كيانه المبدع وليدؤن السيرة كحامل أمانة تاريخية...

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

من الأماكن التي أثرت في مدونته السردية المكان التونسي ولنا مثال في هذا العمل الجديد رواية "هناك في فج الرياح" سبقته في الحقيقة أمثلة أخرى (أذكر منها خطوط الطول خطوط العرض/ امرأة من هنا.. رجل من هناك/ حدث هذا في ليلة تونسية...). كان المكان الشاهد على قلق فظيع يعيشه البطل حسان العراقي وما يجده من عناء هويته ووضعه، لا تثبت به قدم ولا خاطر، وهو كما يقول ص 22 "مقذوف في الزمن التونسي، في الجغرافيا التونسية" لا يستسلم لحاضر ولا تمهداً ليران ماضيه في تأجج دائم ولا يتضح له مستقبل يتأرجح بين خيوط خفية. المكان التونسي انطلاقاً من ظاهر العنوان "فج الرياح" (فللعنوان طبعاً أكثر من قراءة) وهو ما كان يطلق على المساحات التي بنيت عليها تباعاً مدينة المنازة. ثم إيفالا في المدينة العتيقة بأزقتها وساحاتها وأضرحتها، فتجوالاً يومياً أو يكاد في المدينة الإفريقية

انطلاقاً من محيط سكني الكاتب حتى قلب العاصمة بمقاهيها ونزلها وشوارعها ومؤسساتها.

أما الزمن فيتأرجح بين الماضي والحاضر زمن داخلي نفسيّ يتمثل في تمزق الشخصية الرئيسية بين الوضع غير المستقر والغربة والعلاقات الإنسانية غير الثابتة فأصدقاءه الفلسطينيين الذين يقاسمهم غربتهم وبعدهم عن الوطن لا يملكون قرار البقاء أو الرحيل، ولا يدري هل سيجمعه بهم الغد أم سيفترقون ويتفرقون، وكثيراً ما كان الموت يتدخل ليقطع وشيجة حياة وتواصل فيحدث الفقد يليه النسيان وتجاوز المحنة. وزمن حاضر يرتب الكاتب قطعه حسب معيش بطله اليومي المتوزع بين:

- لحظات للقلب والجسد بين هوى الروح وشيق الشهوة من خلال علاقيتين حسية وروحية مع امرأتين مختلفتين.

- لحظات لتخطيط مشاهد من الحياة عبر رسوم لا تكتمل في الغالب.

- لحظات للصدقة والدفع وللحمية والتعري، وذلك حين يذهب كل يوم ليلتقي بأصدقائه الفلسطينيين، للشعور بالانتماء أو ما شابه، ولقهر اليأس والوجع بالمزحة والضحك والأمل والانتظار واحتساء الشاي الساخن بالمريمية، والتقاط أخبار القادمين والراجلين، والتحدث في مستجدات السياسة، وتذكر الماضي لحظات يشعر فيها حسان الزيدي بكيانه على وجهه.

يبدو الزمن متشظياً لكنه . في اعتقادي . غير ذلك فهو الذي يَكُون متن الأيام في حياة حسان منذ قدومه إلى تونس.

تشكّل الوحدات السردية في النصّ عبر لغة تنساب غير مستعصية تستجيب لطالبها في يسر تبني محطات الاسترجاع والمونولوج والوصف يستعمل الكاتب بعض المفردات خارج الفصيح تتبلّ حميمية أطراف الحوار وتشعّ فيه حرارة.

الزمان أزمنة تتوزع حضورا واسترجاعا بين التذكر والمعيش والاستشراق، زمن الحكيم وزمن الاستعادة.. زمن التأمل خارج الموازين وزمن الانتظار لمن يعيش المنفى. المكان وطن في القلب والذاكرة وهو العراق بالنسبة للراوي والرسام حسان وأرض فلسطين بالنسبة لأصدقائه المبعدين والقادمين من بيروت عبر البحر إلى تونس عقب الاجتياح الصهيوني وترحيل المقاومة سنة 1982 حتى اتفاقية أسلو فكان وطن الاستقبال حتى عودة البعض عقب معاهدة أسلو 1993 إلى غزة والقطاع ، وظلّ البعض الآخر وربط أواصر الصداقة والحب.

يتشكل متن النصّ على محمل فنيّ متميز لدى الكاتب وهو السرد المفصل أو المبني على التفاصيل الدقيقة تقتنصها عين الكاتب بواسطة حسان الرسام الذي يرى ما وراء الأشياء" على حدّ قوله ليشكل فسيفساء الأحداث سواء النابضة من ذاكرته أو المعيشة من حاضره، ليرز من خلال ذلك أسلوب الراوي الكاتب الوفي لتجربة السنين.

يقول الدكتور حاتم الصكر في تقديمه لهذه الرواية:

عبد الرحمان رواي أمين لتجربة السنين البهية أسلوبيا وموضوعيا والمتميزة بأبطالها الإشكاليين وجرأتها في تشخيص عقدهم وهمومهم (...) نراه يؤث (هناك في فيج الزيج) بفسيفساء نادرة تستحضرها ذاكرة تعمل بنشاط وذكاء إنه ينتقي أكثر تفاصيل وطنه دلالة من الذاكرة في عملية استرجاع طويلة ويرصد جزئيات الحاضر التونسي بدقة مكانا وبشرا وثقافة ويراقب تطورات الوضع الفلسطيني من النفي إلى السلطة وبما يسمح به الزمن السرد المتاح لوعي بطله حسان الذي عاش أدق فترات التحول في بلده وانغياراته).

قراءة في كتاب الأستاذ عبد العظيم الصغير "جدل حول أحكام المواريث"

بقلم: المولدي الشاوش

الحمد لله الذي أمره قضاء وحكمة، ورحمة وأمان، ونصلي ونسلم على رسوله محمد،
للمبلغ لأمره ونبيه، صلاة وسلاما تشمل الآل والأصحاب، وأهل العلم الصحيح.
وبعد لقد أهدانا الأستاذ عبد العظيم الصغير كتابه القيم في محتواه ، والذي نال به
شهادة الماجستير من الجامعة الزيتونية، والموسوم بما يلي: "جدل حول أحكام المواريث"
فهذا الموضوع الشائك، الذي اختاره صديقنا عبد العظيم الصغير، تناولته عديد الأقلام
بالبحث الإيجابي، المتواءم مع مقاصد الشريعة الإسلامية، وهناك أقلام متطفلة تناولته من
المنطلقات الفكرية الغربية، والتي ترى ضرورة تغيير الأحكام الواردة في القرآن، خاصة تلك
المتعلقة بميراث المرأة، لأن هذه التشريعات متعسفة في نظرهم، ومستوحاة من واقع ظرفي
معين، وهي لذلك قابلة للتطور مع الزمن !! وغاب عن هؤلاء أن النص الشرعي لا ينسخه
إلا نص في قوته أو أقوى منه، وعلى هذا فنصوص القرآن، لا تنسخ إلا بقرآن مثله كما
يقول الإمام الشافعي.

إلا أن صديقنا عبد العظيم، كان وسط هذا الخضم العلمي متوازنا في بحثه، يحكم العقل
والنقل، حتى لا يتجاوز الإطار العام للمنظومة الفرائضية، وقراءته هذه طرحت قضايا جديدة
بالاهتمام والدراسة من المختصين في راهن حياتنا.

والأستاذ عبد العظيم الصغير، ليس غريبا في هذا الباب، إذ عرفناه منذ عقود، بحبه للعلم
والبحوث الجادة، وبمشاركاته الفاعلة في عديد الميادين الثقافية والاجتماعية، والتي أهله

بحق، لأن يكون رائدا من رواد الفكر ببلده منزل تميم، لما يمتاز به من نشاط ودأب في العمل، وطموح فياض، من أجل توسيع معارفه، وفرض حضوره في كل المواقع الثقافية التي شغلها، حيث يقول الدكتور فتحي العبيدي في تقديمه للكتاب الذي بين أيدينا: (...والشيخ عبد العظيم الصغير، من الزيتونيين المخلصين، وقد أكرمه الله تعالى بالأخذ عن ثلة من أعلام الزيتونة، وفي مقدمتهم الشيخ العلامة محمد الفاضل ابن عاشور رحمه الله، وأذكر أنني أكثرت الأخ عبد العظيم منذ رأيت لأول مرة جالسا في قاعة الدروس، لمتابعة مادة مدرجة في برنامج (مرحلة الماجستير المهني) شعبة قسمة الفريضة بالمعهد العالي لأصول الدين، لأن أمثاله نادرين، فمن يعود للدراسة والطلب والبحث، بعد الإحالة على التقاعد؟ اللهم إلا من كانت همته عالية، وطموحه غير محدود وعزمته قوية).

فصديقنا عبد العظيم سليل جامعة الزيتونة، التي عُرِفَ الكثير من رجالها، بالبحث الجاد، والابتكار والتحديد، وتوسيع الآفاق العلمية، للسير في طريق الإصلاح الديني الثابت، وتناول شؤون الحياة العامة لتقويتها، وتثبيت أركانها، ودعم هياكلها، وتدقيق البصر في تطبيق أحكام الدين، التي بدونها ليس لنا مكان في هذا العالم المادي، الجامح إلى الإلحاد والرذيلة، وليس معنى هذا العزوف عن التحديد والاجتهاد، والسير في طريق الإصلاح الديني، المتوائم مع كتاب الله وسنة رسوله الكريم، ودون نبذ وغلق لباب الاجتهاد، الذي له رواده من العلماء الذين لهم حنكة ودراية بعلوم الدين بمختلف فروعها، لأن الاجتهاد من أهل الذكر مشروع وله جوانب إيجابية خلاقة في حياة الناس، إذ لو يغلق باب الاجتهاد لضاق العلماء والناس، فوسع الله على الأمة بوجود الخلاف في فروع الدين، والأخذ بالمصالح المرسله، التي لم يرد نص معين يدعو إلى اعتبارها، أو إلغائها، ولكن اعتبارها يجلب نفعا أو يذع ضرا، إيماننا منهم بأن الشريعة الإسلامية قد اشتملت على مصالح الناس، لكن بشروطها المعقولة، وهذا ما جعل الشاطبي يقول: (إن أحكام الشريعة ما شرعت إلا لمصالح الناس، وحيثما وجدت المصلحة فثم شرع الله.).

فالعلماء العارفون بالشريعة الإسلامية ومقاصدها، هم المؤهلون لطرق باب الاجتهاد، الذي يساعدهم على الرؤية الصائبة، في تحديد الدنيا من وراء تحديد الدين وأحكامه، ودون إخلال بالأصول، حتى لا يختلط الحابل بالنابل.

يقول العلامة التونسي الراحل محمد الخضر بن الحسين الذي تولى مشيخة الأزهر من سنة 1952 إلى 1954 (إن دعوى أن باب الاجتهاد مغلق، دعوى لا تسمع، إلا بدليل ينسخ الأدلة التي انفتحت بها باب الاجتهاد أولا).

فموضوع الموارث هذا، ناقشه العديد من الاختصاصيين حسب المطلوب، واقتحمته حتى الأطراف الفكرية العلمانية وغيرها متذرعين باتساع الحقل الدلالي للألفاظ، وانطلاقا من

فهم النصوص الدينية، وقد ذهب بعض أصحاب هذه القراءات إلى اتهام بعض الفقهاء بالتلاعب بالآيات القرآنية، من أجل تشكيل علم للتوريث يتناسب مع الإكراهات والقيود الاجتماعية، كما يقول محمد أركون.

ويقول الأستاذ الصادق بلعيد في كتابه القرآن والتشريع (إنها صفقة أكره فيها علماء الإسلام من قبل الحكام للحفاظ على مصالحهم



والإبقاء على امتيازات الأغنياء، هكذا بل إن آيات الموارث وظفها الفقهاء تكريسا لسلطة القبيلة، وقد وقع التلاعب بهذه الأحكام والعودة بها إلى الأعراف القديمة، في

نصها وروحها، وقد كانت الكلمة الأخيرة والانتصار للقبيلة في جمع المال، ويختم الأستاذ بلعيد قائلا: إن التشريعات في هذا الباب مستوحاة من واقع ظرفي معين، وهي بذلك تكون قابلة للتطور¹!!

وكأنه بهذا الطرح، يلغي النصوص الإلهية الثابتة، بكتاب الله الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا يمكن بحال من الأحوال أن ينال الاجتهاد البشري، النصوص الدامغة باسم مواكبة المتغيرات عبر الأزمنة، إذ الاجتهاد لا يكون في أصول الأحكام القاطعة، بل لا يتناول إلا الفروع كما أسلفت، إلا أن العديد من العلمانيين يريدون السطو على النصوص، واستبدالها بما يتلاءم مع ميولاتهم الفكرية، والتي لا تستند إلى منطق ديني سليم، يقينا من هذه المنزلقات، التي قد تجرنا إلى الجور على الأصول الشرعية، التي بدورها يكون الذوبان في ثقافة الغرب بايمجياتها وسليباتها، وقد ركّز العديد من هؤلاء على توريث المرأة، بدعوى أن توريثها في الإسلام بجانب للعدل، بينما المرأة لا ترث نصف الذكر دائما وأبدا، إلا في حالة اشتراكها مع إخوانها الأولاد، قال تعالى: (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) النساء الآية 11. أما عندما كان التقعيد عاما للميراث ، فإن القرآن قد استعمل لفظا هو لفظ النصيب، لكل الذكور والإناث، على حد سواء، قال تعالى: (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، مما قلّ منه أو كثر نصيبا مفروضا) النساء الآية 7 . إذ هناك حالات ترث فيها المرأة مثل الرجل أو أكثر منه في حالات عديدة ، بينما ترث نصف الرجل في حالات أربعة. يقول الدكتور (قوسطاف لوبون) الباحث الفرنسي في كتابه (حضارة العرب)... ومبادئ الموارث التي نص عليها القرآن على جانب عظيم من العدل والإنصاف... والشريعة

الإسلامية منحت الزوجات اللواتي يزعم البعض أن المسلمين لا يعاشروهن بالمعروف ، حقوقا في الموارث لا نجد مثلها في قوانيننا² بينما في عصرنا الحاضر نجد القانون الإنكليزي مثلا الذي يقضي بانتقال ثروة الأب إلى الابن الأكبر، مما يجعل الثروة يستفرد بها شخص واحد ، وهذا فيه غبن وحرمان .

إلا أن مفكرهم ونخبهم العلمية لم ينتقدوا هذا القانون ويطلوه، بل عايشه الإنكليز على مدى التاريخ وإلى اليوم، رغم أن هذا القانون تعثره عديد الثغرات التي تتنافى مع الحقوق الفردية للإنسان، في التمتع بملكيتهم الخاصة ، بينما العلمانيون والفرنكفونيون القدامى والجدد ببلادنا، يريدون تحويل الميراث بالنسبة للأثني، وجعلها مساوية للذكر، خلافا لقوله تعالى: (للمذكر مثل حظ الأنثيين) ويعتبرون أن هذه الآية جاءت في سياق تاريخي معين!! ويجب أن يتغير هذا في زماننا، ويتساوى الرجل والمرأة في الإرث، ويذهب البعض من نوابنا في المجلس التأسيسي بتقنين هذا في دستور البلاد، ليصبح التساوي نافذ للمفعول، رغبة منهم في الإرتقاء في المستنقعات الغربية الآسنة، باسم التطور والحداثة، ولو على حساب ديننا، الذي نص على النصيب المحدد في الإرث، بأنه فريضة من الله، (والأنباء مقدرة شرعا بسبب الميراث في القرآن أو السنة، أو الإجماع من فرض وتعصيب .)

فشريعة الإسلام وضعت القواعد العامة للموارث، وتلك حكمة بالغة في احترام الملكية من ناحية، وحتى عند انتقالها إلى الورثة من بعد الموروث الهالك، وهذا ما يجعل الناس يعملون ويكدون فتزدهر الحياة، ويعم الخير، خلافا لما دأبت عليه النظم الشيوعية الغاشمة ، والتي باءت بالفشل الذريع، لأنها لم تقرأ حسابا للحقوق الخاصة والعامة .

فكتاب صديقنا عبد العظيم لم يأت من فراغ ، بل جاء بعد بحوث جادة، ودراسات معمقة ومطولة لأمّهات الكتب من تفاسير متنوعة للقرآن الكريم وعلومه، وكتب الفقه وأصوله، كما تعامل مع الأحاديث النبوية من الصّحاح، ملتزما في كل ذلك بالموضوعية العلمية ، كما تعامل مع عديد المؤلفات القديمة والحديثة، والتي أدخلت هذا العلم إلى دائرة البحث والتقصي .

وقد اتخذ مؤلفنا عديد المواقف الثابتة، والمركزة على المنهجية الشرعية الثابتة والواضحة، بالأدلة والبراهين الدامغة، مراعيًا في كل ذلك للمنهجية العلمية الواضحة، التي سلكها الباحثون الموضوعيون، وفق ما أيده الإجماع والقياس، حسب القواعد الأصولية الراجحة، دَبَّدَنُ في ذلك المنهج المقارن، والمنهج التحليلي، في محاور شيقة، بين مبررات القراءات الجديدة لأحكام الموارث، التي قيل فيها ما قيل، من آراء ومبررات وتأويلات، إلا أن الشيخ عبد العظيم، كان ثابتا وصامدا أمام هذا الكم الهائل من الجدل الإيديولوجي، الذي غايته معروفة على مدى التاريخ ، ولا يُصَبُّ وراء خدعة الإسلام، بل تحركه الأيدي المشبوهة التي تريد الجنوح بنا إلى المنزلقات المناقضة للقيم الإسلامية، والتشكيك في التشريع الإسلامي ومبادئه السامية .

وهذا يجعلنا ندرك أن الشيخ عبد العظيم، لا يأخذ الأشياء على عواهنها، بل بطول النفس، وقرع الحجة بالحجة، سلاحه في ذلك الرأي النير، مع استحضاره للنص القرآني، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أجمع عليه علماء الأمة، وفق القواعد الأصولية الثابتة بالأدلة والبراهين، مُفْتَدًا لكل البدع والشبهات، خاصة تلك الموظفة والمسقطه، من هذا الطرف العلماني أو ذاك، بغاية التطفل والنيل من مخزوننا الديني على مر التاريخ، خدمة بجانبة للغرب، حتى تظل له السيادة والريادة الفكرية المسموعة في كل مكان. (فشرعية القرآن تتعارض في جوهرها مع النظريات الفلسفية القديمة، وبما أن هؤلاء الرهط وثقوا بفلاسفة اليونان، واقبلوا على فهم القرآن في ضوء الفلسفة اليونانية، وكان لابد من إخفاقهم في هذا السبيل ، لأن روح القرآن تتحلى فيها النظرة الواقعية، على حين انحازت

الفلسفة اليونانية، بالتفكير النظري المجرد، وأغفلت الواقع المحسوس) كما يقول المفكر محمد إقبال³ وقد عرض الأستاذ عبد العظيم، عديد النماذج من البحوث التي قيلت في هذا المضمار، وقد سلط عليها نقده المتوازن، من أجل الوقوف على الحقائق الثابتة، ومدها بما يضمن لها الاستمرار والدوام، لأن البحث العلمي أمانة، ولأن هذا العلم دين، قال الإمام مالك: ... فانظروا عمن تأخذون دينكم. وقد كانت أبواب هذا الكتاب القيم، محكمة البناء، ومُبتَوَّنة تبويبا ذكيا، يساعد القارئ على وضعه في الإطار البحثي الشيق، والأخذ بيده، في إعطائه فكرة عامة عن الموضوع، والتساؤلات التي أثرت حوله، دون تعقيدات ومنزقات، قد تحرب بالقارئ إلى هذا الطرف أو ذاك، من الجانحين إلى التطرف، وتجاوز القوانين الفرائضية الحكيمة.

وفي الختام، لا يسعنا إلا أن نُجَدِّد الشكر لصديقنا عبد العظيم، بإهدائنا لكتابه "جدل حول أحكام الموارث" والذي نعتبره إضافة ثابتة، ومتألقة، وملزمة بالمقاصد الشرعية السمحة، التي يسعى العلمانيون إلى إخفائها، بعنيد التعلات الواهية، والمردودة عليهم، مثل إشارة أحدهم، عند تعليقه على هذا الكتاب، مستفهما: (هل أحكام الموارث تخضع للمكان والزمان، والتأويلات المختلفة؟ أم هي نصوص قارة لا يمكن تجاوز مدلولاتها الحرفية، وهل يصح لنا تناولها من مقاربات تاريخية، بعيدا عن التقديس والعقيدة والرسالة النبوية؟). وكأنه بهذا الرأي، يريد من المؤلف أن ينصهر في مثل هذه القراءات الجديدة المغتربة، والمسقطه حمقا، والتي تتجاوز النصوص الشرعية، من كتاب وسنة وإجماع، حتى يكون كتابه مُرحبا به لدى الباحثين الفرنكفونيين، الساعين إلى الانصهار في بوتقة الفكر الغربي، باسم التطور، والتعايش مع البيانات الأخرى، والحضارات المعاصرة، التي فرضتها العولمة ونسقتها المعرفي كما يدعون، وفي نهاية هذه الكلمة، أسأل الله أن يُمَدِّد في أنفاس صديقنا عبد العظيم، حتى يتحفنا بفيض علمه في كُتُب آتية إن شاء الله .

³ في كتابه تجديد التفكير الديني في الإسلام ط القاهرة 1968 ص 146

الإبداع... إلى أين؟!

بقلم: الهادي العثماني

هل وصل الإبداع إلى طريق مسدود ؟

سؤال تفرضه المرحلة في ظلّ الفوضى السائدة بعد الثورات العربية، والدّور المشبوه الذي تلعبه بعض القوى الخارجية لترتيب "أجنداتها" الخاصّة وأهدافها المحسوبة. هذه الفوضى النّاتجة عن مرورنا بمرحلة انتقالية هشة ومرتبلة أحدثت ارتباكاً خطيراً في مجالات حساسة في البلدان المعنية وخاصّة:

1- في المجال السياسي: بروز كمّ مبالغ فيه من الأحزاب السياسية ما أفرز حالة تناحر وتجاذبات غدّها الأنانية والجري وراء المصالح الخاصّة والتكالب على المناصب، يقوم عامل الجهل في تكريسها بدور كبير، وهذا من شأنه أن يهتّم المسار الصّحيح للثورة ويحيدّها عن المبادئ الأساسيّة التي من أجلها قامت لتحرير الإنسان المقموع من قيود دكتاتورية هيمنت عليه طيلة الفترة السّابقة من تاريخه ودجّنت الإنسان العربي ردحا من الزّمن غير قصير مستغلّة جهل السّواد الأعظم من الشّعب بقواعد اللّعبة السياسيّة وانصرافه عن الانشغال بهذا المجال بما يشبه الاستقالة كلياً، طيلة المرحلة السّابقة، فإذا الثّورة توجّه إلى غير وجهتها ما فتح المجال لتسلل السّماسرة والمناوئين والوصوليين والمرترقة ومن كانوا على هامش التاريخ، فاختلط الحابل بالتّابل وتبعثرت الأوراق، وعمّت الفوضى.

2- في المجال الأمني: أثبت التاريخ أن كلّ ثورة ناشئة ينتج عنها واقع رهيب من الانفلات الأمني وانتشار الجريمة والفوضى والتجاوزات والانهيار الأخلاقي وتزعزع

القيم في غياب سلطة القانون واستغلال الظرف، والفهم الخاطئ لمفهوم الحرية والديمقراطية، وهي نتيجة مباشرة ولصيقة بالوضع السياسي المنهار.

3- في المجال الديني: تنامي تيارات دينية متطرفة ونشأة حركات مذهبية تنصب نفسها للدفاع عن الدين وحمايته بالوكالة، وهذا المجال شبيه بالمجال السياسي، إذ يتسرب إليه كثير من المقتنعين والمنافقين وأصحاب الأغراض الدينية الذين يسيئون إلى الدين ويحسبون على حركات الصّحوة الدينية الصادقة والجادة، فيشوّهون صورة الإسلام ويعملون لصالح أعداء الدين من حيث يقصدون أو لا يقصدون.

4- في المجال الثقافي والإبداعي: يبدو لنا أول وهلة أنّ هذا الوضع المتردي للمرحلة، لا بدّ أن يزعزع السّاحة الثقافية ويشرد المبدعين، ويقتل فيهم ملكاتهم، ليلغي كل حوافز الإنتاج والعطاء والخلق الإبداعي، خاصّة في مجال الفكر والفنّ، كالشعر والموسيقى والرّسم والمسرح والسينما... إلخ... أمام المناخ السياسي المتقلّب، وفي مواجهة المحوم العنيف من الحركات التكفيرية والتجريمية للإبداعات الفكر والفنّ، غير أن ذلك لا يكون صحيحا دائما، لأنّ الإبداع يحمل شرعية وجوده في ذاته، وهو في الغالب سبب للثورة، يمهد لها ويسرّ بانجازاتها، كما أنّه ينتج عنها إفرازا طبيعيا لتمحضاتها، كردود فعل مباشرة، أو غير مباشرة، ايجابية كانت أو سلبية، ولكنه يبقى دائما نتاج الحوافز التي يصنعها واقع ما في بلد ما... فهل ينكمش المبدعون ويتخاذلون عن دورهم أمام المواجهة العنيفة التي يفتعلها المناوئون وفي مناخ الإرهاب الفكري، وملاحقة شتى أصناف الفنون الإبداعية من طرف الأدعياء الجهلة والمنافقين الأقاكين المندسين والمحسوبين على الحركات السياسية الجادة أو التيارات الدينية التنظيمية؟.

إنّ هذه المنغصات والعراقيل التي تسعى إلى إسكات صوت المبدع ربما أصبحت عوامل أساسية في دفع حركة الإبداع من باب "ربّ ضارة نافعة"، وربما انتهج الفكر

والفنّ مناهج كفيلة بتحقيق بقائه كالالتجاء للرمز والتورية على غرار ما حدث في محطات مفصلية في مسيرة التاريخ كشأن أدب "ابن المقفع" وكتابات "لافتان" وجزء من أشعار "أحمد شوقي" وبعض الأفلام والنصوص المسرحية التي راوغت عيون المراقبة واجتازت حدود "الصنصرة" وتحدت سلطة الوصاية...

لا خوف إذن على الإبداع من مظاهر الخطر الوهمية التي ذكرنا سابقا، فالإبداع يفرض نفسه في الحالتين، أثناء توفر الرأي والتعبير، أو في حالة مصادرة هذه الحرية، ولكن الخوف كل الخوف من المتسللين إلى الميدان باسم المبدعين، والمهندسين والطفيليين الساعين إلى تكريس الرداءة وإرباك الحركة الإبداعية وإفراز نتاج على درجة من الضحالة والإسفاف ما به يكون تمهيش الإبداع الرّاقى، كالتبئات الطفيلية تراحم الأغراس والأزهار الطّيبة المنبت والإثمار في حقل انتشغل عنه فلاحه، أو تخلى، لفترة وجيزة فإذا الرديء يطفئ على الأصيل وتحجب الظلال قبس النور، ولكن إلى حين، وهذا ما يحدث في أيامنا هذه مع الأسف الشديد. كانتشار بعض النصوص الأدبية والكتابات الفكرية المهزلة بكل المقاييس أو المتدثرة بمجلباب الثورة كذبا ورياء وبروز أقلام رخيصة غير برهنة ورسوم مغرضة. هذا هو الخطر الحقيقي الذي يمكن أن يعرقل خطوات الإبداع المتميز، ولكن التاريخ كفيل بكس كل الغشائات وتشذيب الشاذّ وقطع الحبال الواهمة وأما البقاء للإصلاح...

"فأما الزّبد، فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض"

صدق الله العظيم



جدل الأجيال في فنون الأدب التونسي

مجلة الإتحاف نموذجاً

بقلم: طارق العمراري

تصدير أول: كتب الشاعر أدونيس في كتابه الثابت والتحول مثل عربي قديم مجهول صاحبه "من لم يكتب فيه رجل"

إذا ففعل الكتابة كامن فينا يكفي أن نكون شجعاناً وأن نجد أيضاً من يأخذ بأيدينا ويدفعنا

ARCHIVE

التصدير 2: قصة الشاعر Avagon

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ونرجسية الشعراء ومحاولته الانتحار ثم كانت الانطلاقة

التصدير 3: كان ينصح لدى العرب بحفظ آلاف الأبيات ثم المكوث لسنة وأكثر عند العرب في الفياثي والجبال والحميم الصحراوية ليتمكنوا من الكلمات والألفاظ واختلافها وحتى من نطقها.

إنّ الدّارس لمجلة الإتحاف التونسية ذات البعد العربي نظراً لمن رموا بسواد حبرهم على بياض أوراقها وقراطيسها مثل الأدباء العراقيين والجزائريين وغيرهم وغير قراءته لخطها التحريري يلاحظ انفتاحها على فنون الأدب والتشكيل الفني وكل ما يمت بعالم التراث والآثار فلقد عرفت بالعديد من معلّنا ومواقعنا التاريخية والأثرية انطلاقة من غلاف المجلة وصورها التي ميزتها وغير الدراسات الأكاديمية الباحثة في تاريخنا الحضاري الهام.

كما احتفت برموزنا الأدبية والمعرفية عبر نقلهم كتبهم وتجاربهم وحتى محاورهم أما الإشكالية التي اخترت الخوض فيها وهي جدل الأجيال في فنون الأدب

فالجدل وجود نقىضين في محتوى واحد ووحدة الأضداد تتطلب صراعا وهذا جوهر الحديث بين الشباب الطامح لفرض خطه الأدبي في القصة والشعر والرواية أو الفنون التشكيلية بحس نرجسي تغلب عليه الذاتيات التي قد تنهيه قبل البداية وهذا ما وقع مع عديد الشعراء الشباب أثناء نشرهم قصائد على أعمدة الصحافة الوطنية أو نشر مجموعة قصصية وشيوخ الأدب ومحتكره يحتفظ طبعاً ومن تكون نصائحهم قاسية وغير يداغوجية أو بالعكس يساهمون في إبراز وجوه أدبية رجالية ونسائية غير مقنعة.

هذا عن الصراع أما النقطة الثانية وركيزة العملية الجدلية هي تحول الكم إلى الكيف من شاعر أو قاص يرأس أعمدة أو الورقات الأدبية لجراندنا أو مجلاتنا التونسية والعربية حتى يصبح شاعراً أو أدبياً يؤثّر للشهد الثقافي والأدبي في الندوات والملتقيات الأدبية بل وفي الهيئات الوطنية والعربية كاتحاد الكتاب التونسي والعربي وغيرها وستكون مجلة الإتحاف هي المثال التطبيقي لهذه الإشكالية فمنذ الأعداد الأولى وخلال كل مسيرتها المتميزة فتحت أبوابها وصفحات المجلة للشباب ومحاولاتهم الشعرية والقصصية ففي العدد 14 (ماي-جوان 1988) السنة الثالثة تخصصها لأدب الشباب من ص 70 إلى صفحة 80 و9 صفحات لركن أقلام واحدة في العدد 17 (جانفي-فيفري 1989) السنة الرابعة ثم أعداد التسعينات في ركن الأقلام الواعدة صفحة من إعداد عبد المجيد زين العابدين .

لتنوّع الأركان الخاصة بإبداعات الناشئة بين أدب الشباب والأقلام الواعدة ونصوص حرّة وصفحات أدبية إيماناً من الخط التحريري لمجلة الإتحاف أن الشباب هو عماد ومستقبل هذه المجلة وهذا الرهان المعرفي نراه قد وفق فيه كل الساهرين على هذه المجلة.

إن الأركان التي ذكرت تجعل من الأديب والكاّتب الطامح لأن يكون رقماً نوعياً في الساحة الأدبية جهوياً ووطنياً ولما لا عربياً استطاع في كلّ الأعداد قصائد وقصص سابقه وهي فرصة للمقارنة ذاتية أولاً ثم عن طريق ناقد لهذه المحاولات وما استوقفني وأنا بين أكثر من 100 عدد من مجلة الإتحاف القراءات النقدية العميقة للأستاذ عبد المجيد زين العابدين الذي رأينا في قسوته وإشاراته الأب الحنون والقائد الذي يذكر بك بسليباتك كي تنتصر في

المعركة. يجعلك تقف على سلبات نصك كي تتطور وتقدم الأحسن فالأحسن ومن ضمن ملاحظاته القيمة والتي كانت ايجابية بالنسبة للشباب وأقلامهم الواعدة وهذا موضوع الجدل الذي قدمت صراع مغلف بالدفع الديناميكي والجلدي.

ملاحظات لامست مضمون القصائد والقصص كالحب والزمن والرحيل وحديث الذاكرة وصراخاتها والسفر والقلق الوجودي والحلم والشهادة والظلم وغيرها.

ثم تشكي الأخطاء اللغوية والتراكيب الركيكة وغياب التفعيلة والرمزية المفرطة ناصحا إياهم بمزيد المطالعة والتمكن من العروض وأوزان الخليل والعودة لتراثنا العربي والإسلامي لننهل منه ويكون المزود لنا في صورنا الشعرية وتراكيبنا اللغوية رغم تمكن العديد ممن قدم لهم من لغة سليمة وصور شعرية رائعة بل أن أحد الشعراء الشبان وهو الشاب هاني يوسف أصيل قصيدة المديوني متمكن من الوزن التقليدي وكتب قصيدته على بحر المتقارب.

وقد تابعت الأسماء التي كانت تؤثث صفحات ركن أقلام وأعادة منذ العدد 17 لسنة 1989 وقد كتب فيها الشاعر مراد العمدي وهيها هو يحقق الثقل الكمية والكيفية ويصبح شاعرا معروفا وطنيا وعربيا وأحد الأعضاء الفاعلين في اتحاد الكتاب التونسيين قبل التحاقه بالمجلس الوطني التأسيسي وغيره أكيد ليعود الحنين ويتواصل مع هذه المجلة بكل كتاب تونس الذين يغدقونا عليها بنصوصهم الشعرية والقصصية وأبواب النشر مفتوحة في مجلاتنا التونسية والعربية ومن ضمن هذه الأسماء آمال مختار والمهادي العثماني ومختار المومني وبلهوان الحمدي وأميرة الرويقي وآمال سفطة وفوزية العلوي ومنيرة الرزقي.

إن مجلة الإنحاف كانت تجربة رائدة في المجال الثقافي والأدبي راهنت على الشباب الذي لم يتنكر لفضلهما ولعلمي واحد منها كانت مدرسة مفتوحة على كل الأجناس الأدبية والفكرية والفنون التشكيلية نشرت لكل المبدعين صغارهم وكبارهم مكتتهم من فرص التدرج في سلم المجد وإثبات الذات فشكرا للسيد عبد القادر الهاني وكل من عمل ومازال كي تتواصل هذه المنارة التونسية وتشع علينا بمعارفها وآثارها.

قصائد تحت حالة الطوارئ

شعر: عبد السلام لصيلع

والتهب	ظرف استثنائي
والتخريب	قالوا لنا:
والتهريب	أوضاعنا مؤقتة
ظرف استثنائي.	والمرحلة مؤقتة
غلاء المعيشة في صعود	وبما أننا في ظرف استثنائي
الموطن يريد	فإن الانفلات ظرف استثنائي...
ولا يريد	لا تخرج في الليل،
كل شيء استثنائي	لا تنتظر معجزة ..
الفقر	لا تكتب قصائد في الحب
والبطالة	لا تتحدث باسم الشعب،
والإضرابات	إنه ظرف استثنائي.
الاحتجاجات	لا تتكلم
والاعتصامات	لا تقرأ
وحق الانتخابات	لا تحلم
المجلس التأسيسي،	إنه ظرف استثنائي
الكراسي	القمامة
وشراء الأصوات	والحرق

والقراءة	السَّامِسة
والكلام	والأحزاب ..
والأوهام ..	العباد والدَّواب
ظرف استثنائي.	كلّ شيءٍ بلادي
الحبّ	ظرف استثنائي
والعشق	حالة الطَّوارئ
ظرف استثنائي.	وحظر التجوّل
الأطفال	ظرف استثنائي.
والرجال	الناس
والنساء	والوطن
والأشياء	ظرف استثنائي
في ظرف استثنائي .	السِّياسة
الطيور	والصحافة ..
والزَّهور	ظرف استثنائي.
والعطور	الأعراس
والطَّبيعة،	والمهرجانات
والأمطار	والاحتفالات
والأنهار.	الغناء
الحياة	والضحك
والموت	والبكاء.
والحقيقة	الأوراق

أحزاب تشدّق ..
كلّ حزب للشعب يتملّق.
فوضى
خوف
وأرق.
أفكارنا تسرق
وقلوبنا تحترق.
ما هذه الفوضى؟!
أصبحنا فوضى تندقّ.
هربت أحلامنا
ضاعت أيماننا
وبقينا في الفوضى
لا حبر
ولا ورق.
هراء
ما هذا الهراء؟!
عجبي من هذا الهراء.
أصبحت حياتنا هراء
كلامنا

في ظرف استثنائي.
لصوص الثورات
الزّاكبون على موجات الانتفاضات
والخبيات
والأزمات ..
والذين قمعوننا
ومرّوا مع الذّكريات
والذين باعوا أنات الجياع
والأوجاع..
تحولوا إلى ظرف استثنائي
وفي النهاية،
كلّهم .. وكلّنا.. في المهزلة
ظرف استثنائي.
فوضى
وثورة لم تتحقّق.
لم نعد نفرّق
بين الباطل والحق.
فوضى
ووطن يتمزّق.

الصداقة.	حكاياتنا
الملل	والمناير... هراء
والفصول	فإلى أين نهرب
والتراب	من هذا الهراء؟
الأيام	سياسة
والأقلام	أصبحت لكل
والكتابة	سياسي حراسة...
أسلاك شائكة	فمن يضمن للشعب والوطن حراسة؟
أسلاك شائكة	لا نريد شيئا منكم،
في المدن و القرى،	لا حراسة
على أرصفة الطرقات..	ولا سياسة،
في الميادين	يا من تتاجرون بالشعب
والساحات تحاصر القلوب	في السياسة
والنفوس	فكرهنا السياسة .
والعقول	كآبة
والأفكار	كل شيء في كآبة...
والخطوات..	الشوارع...
تحاصر أنفسنا	الناس...

لم نعرف ماذا فعلنا به؟!	والآهات
قالوا قبل نصف قرن	تحاصر كلامنا
إنَّه للحرية والكرامة.	وحياتنا
لكن بعد نصف قرن،	لقاءاتنا
غيَّروا الدستور	والعلاقات.
بعنوان الحرية و الكرامة.	أسلاك شائكة تطوَّقنا
هنيئا لهم	تضيِّق راحتنا..
بالدستورين	تطوَّق دماءنا
والحريتين	وأرواحنا.
والكرامتين.	كونوا مرايا
طوارئ	طهَّروا التوايا
تعوِّدنا على حالة الطوارئ	أزيلوا عنكم و عنا..
لأننا من الولادة إلى الموت	من حولكم
نعيش في طوارئ ..	ومن حولنا
مستعدّون لكل طارئ..	هذه الأسلاك / الشائكة.
ولكلّ حدث مفاجئ..	دستور
لذلك سيّان عندنا،	في خمس وخمسين سنة
تبقى.. أو ترفع	كان أنا دستور
حالة الطوارئ.	

الباقون والعابرون

شعر: مختار المومني

والفرح المستحيل

أواه

يا وطني الذي باسمك يكذبون

ويلحم بطنك يتخمون

هم فاشلون

على ضفاف جرحنا يلعبون

على أكتافنا يصعدون

وبكل آلامنا يربحون

باقون نحن أبناءك الطييون

نزرع حلمنا في المصانع

والمزارع

تكتب ملحمة الفصول

نحن حداثة الثورة

العاملون المتعبون

باقون نحن

والساسة الفاشلون

هم العابرون

متعب

شوشتي الجرائد

والتلفزات

والساسة الفاشلون

وهذا الربيع

استحال خريفا

غيماته كاذبات

رياحه غادرات

أججت نيران حقد دفين

غيرت طعم الحياة

يا لهذا الخريف المخيف

فالشعب قربان إليه

يذبل في القلب ورد الكلام

وتبقى دماء الشهيد نعناعة تخضر

فوق رماد الفصول

فيا بؤس السياسة

وهي تستمطر العنيم البخيل

الجدران

نص الشاعرة: شانتال ووفراي

ترجمة: عثمان الجلاصي الشريف

جدران ملطخة بالدماء

تلتهم الآفاق بلا حدود.

خلف الجدران

ثمة الخوف

والرعب أيضا

لخنق الحياة

جدران لتمزيق الأمل

في مملكة العذاب

وكسر روح الطفولة

في ثنايا البراءة

خلف كل جدار

ثمة جدران

ثم المزيد من الجدران

للفصل بين البدن والعقل

جدران رمادية وجليدية

تغطيها نقوش أثرية

جدران بأسلاك شائكة

لتمزيق الحرية

جدران من الصمت

في بلد الابتذال

جدران عنف وحقد

جدران ميز وتكيبيل

خلف الجدران

ثمة جدران

وفي هذه الجدران

ثمة ثغرات مثل عين

مفتحة علي الحرية

جدران حول الأرض

حواجز من حجارة

حدود من دموع

جدران من الوحدة والقلق

ثمة جدران

دائما جدران



الشاعرة : شانتال إين ألين ووفراي شاعرة للوئسرية من مواليد 1959 <http://www.sakhrat.com>

المصدر : مجموعة للشاعرة بعنوان A Fleur de ciel من دار devas للنشر 1988

أنت الصديق الذي تبقى مودته

وعندك الوعد عهد لا تبدده

أنت الصّدوق نقي النفس طاهرا

غر كريم تحب الحق تعبهه

القائد رشيد رحومة

فاطمة

شعر: محجوبة الجلاصي

سلام عليك صغيرتي

حين تعلنين

بداية رحلتك

ويعلم أعداء

فرحك بأنك

قدرهم اللعين

نار ستصليهم

وأنتك وطن

يحيط النخيل

ووجهه الغائب

فاطمة أدرك

أنك فرحي

القادم المستحيل.

على الموت

فاطمة لا تنسي

دعوات أمك

زيتونتك...

بيتكم الصغير

أحلامكم البسيطة

وحكايات جدتك

تفاصيلك هذه

أحملها تميمة

في رحلة انتصارك

فاطمة احتفلي

معي الليلة بعرس

القمر...

ولا تتردد في التمني

يا فرحي القادم

انهضي....

احلمي....

ولا تقلقي...

لخدوش المسافات...

لا من أفتعوك

بهزيمة القمر

تلك أكذوبة لا

تصديقها

اتندي حلمك

براءتك...

واقربي السلام

على قبر أبيك

عديه بانتصارك

محطة.. يتوقف عندها الفناء

شعر: أميرة الرويقي

الإهداء : "إلى جنود ذهبوا للقتال.. ولم يعودوا"

محطة هناك تستقبل

خواء

الرحم

وحقائب ملقاة على قارعة الريح،

كانت
ARCHIVE

تنسل
<http://Archiv.Sakhril.com>

من عقب منديل رقص

فوق رصيف الصقيع

كان الصقيع يفتح فوق شفيتها

تنسحق

على ثقب العطر ينهار للخراب المقيم

في رحم

أجنة المنايا تنبجس رمادا

كلما زحف المخاض

على ربي الجسد

والصَّقيع
صفصاف ضاجع المحطة الواجفه
حدّج إلى نهديها
جنديّ
وخوضه المنون الآتي
أوزارا هي أثقال على سديم
تفتّحت دمعا

والبارود
كحل في مآقي الصَّيَّة
تتغلّق البصرة
ARCHIVE
<http://ArchiveBeit.Sakhril.com>

لا يورق الهوى
لا يعود الجندي أدراج السَّنا
لا تتبَّل العاشقة
تنتظر أشلاء الخريف
تعلق بفستانها الأبيض
في محطة حلقت فوق رؤوس
تنهار

مِنْ رَحِمِ الشَّتَاءِ يُولَدُ الرَّبِيعُ

(1)

قصة: المرحوم محمد جوعو

- المكان: زُرْنَانَة موحشة.. باردة.. جَوْها خائق.. الهواء داخلها فاسد.. راكد وثقيل.. رائحة الخوف والغياب عطنة.. تدمع العين وتؤدي غشاء الأنف.. تنبعث من صدع عميق العُور في الجدار ينزف رطوبة...

- الزمان: خَرَقُ ضَيْقٍ في أعلى أحد جُدران الزُرْنَانَة.. قريب من السَّقْف.. مُدَجَّج بقضبان فولاذية غليظة متشابكة ينفلت منه ضوء ضئيل أحيانا.. وأحيانا لا ينفلت منه شيء.. فيكون الظلام.. يسميه بعضهم مُتَنَفِّسًا يستنشق عبره السَّحِين من حين إلى آخر نسائم دنيا الناس والطَّيُور.. ويسميه السَّحِين كُؤَةً ضَيْقَةٍ في أعلى الجدار، مدججة بالقضبان تُطَلُّ على الأشياء!...

- السَّحِين: شعبان شُهر «شَنَاب»

- التهمة: التخطيط لاعتقال عمَّار شهر «404»!...

- ملاحظة: شخوص هذه القصة من بنات أفكار الكاتب وشطحاتها... وكلّ تشابه مع الواقع هو محض صدفة ونسيج خيال!...

شعبان يقضي ليلته الأولى بعد الألف في ديجور هذا المكان!...

شعبان يعيش منذ ألف ليلة حالة غياب قسري خارج دنيا الناس وعالم

الطيور!...

كلّما أَطْبَقَ اللَّيْلُ وَعَمَّ السَّكُونُ أروقة السّجن يُطلق شعبان العِنانَ لما هو مخزون في دهاليز نفسه وأغوارها.. ينفض عن ذاكرته غبار الأيّام ورطوبة الليالي.. ينبش فيها.. يُعيد استكشافها.. يُحاول التّواصل من خلالها مع العالم الخارجيّ.. يجتاز منها ما لذّ وطاب زمن التّحليق في سماء أزقة المدينة وشوارعها وفي سماء قريته زمن الطّفولة ويلفظ منها ما ليس مستطابا!...
علّه بذلك يُفْلِتُ من قبضة اللّازمان واللامكان!...

في المزيغ الأخير من هذه اللّيلة، كما في الليالي المنقضية، ضاقت بشعبان مساحة الرّزانة وأحسّ بالاختناق والدّوار.. فتوقّف عن الدّوران حول نفسه للمرّة الواحدة بعد الألف واقترب من أحد الجدران الرّطبة الملمساء.. تحسّس أخطايدته بأصابع مرتعشة، ثمّ أسند إليه ظهره، فتسرّبت الرّطوبة تبّلّل دُبُر قميصه المخطّط.. تنساب عبر ثنايا ظهره... تتسلّل إلى عموده الفقريّ، مروراً بكتفيه، وصولاً إلى رقبته وصفحة وجهه الشّاحب...

باليد اليسرى مسح عرقاً لزجاً بارداً كان يَبُرُّ من مَسَامٍ جبينه... في الوقت ذاته مرّر أطراف أصابع يده اليمنى المتشنّجة في أخدود صدع عميق في الجدار، ربّما بحثاً عن آثارٍ من مرّ قبله بهذا المكان!... أو عن نُتْفٍ قراطيس ربّما دَسّوها في غور الصّدع قصد مُوارثتها بعيداً عن عيون المخبرين ورقابة الحُرّاس، علّ زماناً غير هذا الزّمان يعثر عليها صدفة فينشر الحُكْفُ ما احتوت عليه من حكايات السّلف الغريبة وأقاصيصهم العجيبة على صفحات "القيس بؤك"!...
تتمّ يسائل الصّدع:

«كَمْ قصّة مُضَمّخة بذكريات تنضح مرارة قصّها عليك في غفلة من السّحان من غيّب حيناً من الدّهر في ديجور هذا المكان؟...»

كم قصة تقطر حزناً ضاقت بها صدورهم، فدفنوها في عَوْرِكَ أَيْهَا الصَّدْعُ العميق؟...»...

لَكِنَّ الصَّدْعَ ظِلٌّ صَامِتًا وَأَصَمٌّ يَا شَعْبَانُ...

لم يكشف لك عبايا تلك القصص وأسرارها الدفينة في غوره...

لعلَّ وقت كشفها وإفشاء سرِّها لم يكن بعدا!...

لذلك مرة أخرى لم يسمع صَدْعُ الجدار السؤال!...

لَمَّا أَعْيَتْهُ حِيلَةُ سَتْرِ الْعَوْرِ.. سحب شعبان أصابعه من الأَخْدُودِ اللَّزِجِ.. مسح ما علق بها من بَلَلٍ بطرف قميصه وأسلم أمر البحث داخلَ الصَّدْعِ لِلْأَيَّامِ.. عَلَيَّ الْأَيَّامِ تُحِيطُ اللَّثَامُ عَنِ الْخَبَايَا وَتَفْتَحُ الْمَلْفَاتِ.. وتقتصر من «عَمَّاز 404» وأسياده صبح يوم غضب آت!...

عَمَّاز شهر «404» هو رأس وحش افتراضي ^{من} وَضِعَ الطَّغَاةُ وصنعهم، يلقي طلباتهم ويتلقى منهم الأوامر وينفذها بحذافيرها...

شغله الشَّاعِلُ ابتكار أحبث الحِيلِ الشَّيْطَانِيَّةِ وأبشعها للفتك بكلِّ من يختلف مع أهواء السُّلْطَانِ وشطحاته ويعارض نزواته...

كلُّمَا نحاض هؤلاء حملات ضدَّ تصرُّفات سيِّده، إلا وبسط «عَمَّاز 404» نفوذه على مختلف مسالك الشَّبْكَة العنكبوتية ودواليبها، فأطلَّ بوجهه البشع.. يختال منتفخ الصَّدْر.. مكثراً عن أنيابه.. شاهراً مِقْصَةً في وجوه الخارجين عن طاعة سيِّده للمخالفين لتصرُّفاته العشوائية وسياساته الجائرة.. يتلصص ويتجسس.. يَنْمُ عليهم وَيَسْعَى بهم وَيُعْمِلُ فيهم مِقْصَةً.. فيخرق مواقعهم الاجتماعية ويحجب الصفحات الافتراضية للرأي والرأي المخالف.. وإن أخفق في "صَنْصَرَة" بعض تلك الصفحات والمواقع.. ونادراً ما يُخَفِّقُ فيما أُوكِلَ إليه من مهام.. يُطْلِقُ الْعِنَانَ لِلْفَيُورِسَاتِ خبيثة

فتنساب ثعابين سامة عبر الشبكة وتنتشر كالوباء الفتاك.. تبتث الرعب في التجهيزات الإلكترونية وتعبث بالحواسيب عبثا فاحشا وتشل ما ظهر من دواليها ومفاصلها وما بطن!...

وكلما ازداد عدد معارضي السلطان ومُنَاوِيهِه إلّا وازداد «عمّاز 404» بطشا بمؤلاء وتوحشا...

فهو خادم السلطان المطيع.. لا يتوانى لإرضاء سيده عن تلفيق التهم الباطلة ضدّ خصومه ومخالفيه وتشويه سمعتهم والوشاية بهم وتحرير تقارير "استُفيد" ضدّهم والزجّ بمن يقع في شركه في "غياهب متاهة" جعل لها السلطان وأذنايه شعابا ومسالك مُغلّنة وخفيّة في كامل أرجاء البلاد من يدخلها يعتبره الأهل والأصحاب في عداد الأموات!...

و«عمّاز 404» هو الذي يسيه رُجّ بشعبان في السّجن منذ ألف ليلة وليلة!... فقد ألصق به أعوان السلطان وجُراسمه الشّبّاد الغلاظ تحمة التخطيط لاغتياله، فقُبِضَ عليه وأُلقي به في دهاليز النسيان في المزيغ الأوّل من ليلة ليلاء لم يقرأ لها شعبان حسابا لما اقترب صدفة من المقرّ الرسمي لهذا الوحش الافتراضي!...

... في انتظار صُبح آتٍ تُكشَفُ فيه الحبايا وتُفتح أنثاءه الملقّات، ولّى شعبان ظهره الجدار ورفع عينين مرهقتين نحو بصيص نور انفلت في غفلة منه من كوة الجدار.. فتدّكر حشرات «بُوضُوّاية» حين تتكاثر في ليالي الربيع، فتلتصق بتراب حقول قرنته البعيدة وفي أذناها شُعاع كالسراج يضيء آثار أقدام الصّغار الخافية!... لأوّل مرّة رأى تلالوا يُطلّ عليه من خَرَقِ الجدار!...

في البدء ظنَّ أنَّ حشرات «الحَبَّاجِبِ»^(١) استبطنات زيارته إلى مسقط الرأس، فتحملت مشقة السفر وجاءته من هناك حَلَقَة، وأطَلَّت عليه خلصة من كُؤَةِ الجدار، تُخَفِّفُ عنه وطأة الدَّيْجور، تسأل عن أحواله!...

ولمَّا تَثَبَّتْ في الأمر، تَبَيَّنَ له أنَّ نجومَ السَّمَاءِ ساهرةٌ معه هذه اللَّيلة، فأحسنَ بأنَّ شيئا ما سيحدث صباحَ اليومِ الموالي!...

فَمَنذَ أن اقتادوه عُتُوَّ خارجِ قاعةِ المحكمةِ مغلولِ اليدين وأَلْقَوْا به على أرضيةِ هذه الزَّنْزانةِ القلْذرة، لم يعد ينتمي إلى دنيا النَّاسِ وعالمِ الطُّيُورِ والنَّجومِ، ولم ير سوى شررِ الحقدِ يتطاير من عيونِ الحُرَّاسِ كُلِّما أطلَّت عليه من كُؤُوتِ بابِ الزَّنْزانةِ المغلقِ دائما، تبصقُ شَمَاتَةً مفضوحة.. وكأَنَّهُم بتغييبه داخلَ هذا القبو، تَخَلَّصُوا إلى الأبدِ من بُرْعُوْثٍ كان يمتصُّ دماءَهم ويقلقُ راحتَهُم أثناءَ نومِهِم ويقطعُهم...
 ARCHIVE

منذ أن تَقَفُّوا ريشَ جناحي الصَّقْرِ الَّذِي رسمه على ظاهر زُنْدِهِ بالإبرةِ فاخْضَبُ بعد أن عاجله بالأصباغِ ذاتِ يومٍ صَنَحُوا من أَيَّامِ زمان...
 ARCHIVE

ومنذ أن حالوا دونه ودون التَّحْلِيْقِ عبرَ أَرْزَقَةِ المدينةِ وشوارعها العريضة كيَقْفا شاء، ومتى شاء، لم تزره نجومُ السَّمَاءِ.. ولم يرها كما رآها اللَّيْلَةُ، تطلُّ من وراءِ قضبانِ الكُؤَةِ الفولاذيةِ.. تغمزه بعيونها للمليوتيةِ...

منذ ذلك اليوم وهو وحيد بين جدران باردة داكنة صَمَاءِ.. يدور حول نفسه.. يحرك أصابع يديه المتشَنِّجة.. يتحرك جيئةً وذهاباً في زَنْزَانَةٍ طولها ثلاثة أمتار تقريباً وعرضها لا يتعدى المترين.. يترقَّبُ شيئا ما سيحدث في صباح يوم ما ويحاول أن يُحِيطَ اللُّثَامَ عن ملابسات جريئة وحده يُجْزَمُ أَنَّهُ لم يَقْرَفْها، لكنَّها كَبَلَتْه منذ ألف ليلة وليلة وبسطت قبضتها المتوحشة فحنقت عنقه، وجعلت الآخرين يلفظونه بعد أن مضغوه!...

لم يبق له ما يتلّهى به لقتل الوقت، منذ أن أصبح يعيش خارج دنيا الناس والتحوم سوى محاولة فك رموز رسوم سُريالية رسمتها الأيتام وتقادم العهد على الجدران والسقف بفعل الرطوبة وتساقط طلاء الكِلْس من القِدَم...

لذلك تراه كلّما شعر بالاحتناق والدوار... كلّما أتعبه الدوران حول نفسه وأكله وتلاشت قواه وتبيّست قدماه.. يتمدّد على حشيرة رثة ملقاة على أرضية الزُتْرانة ويطلّئ العنّان لحياه، يتطلّع إلى تلك الرسوم...

يتمعّن في أشكالها وألوانها الدّاكنة...

يُنجذب إليها ويلج عولمها العجيبة...

يحاول فك رموزها...

يبحث هنا وهناك...

يبحث داخل دهاليز نفسه وخارجها... يبحث في الظلّة وعبر الشعاع الخافت

المنبعث من الكوة عن مفاتيح طلائعها... <http://Archivebe.net>

فتأخذه تلك الرسوم عُنوّة حينا وأحيانا محض إرادته بعيدا.. بعيدا عمّا هو فيه من إحساس بالآزمان والأماكن!...

فمرة يمتطي خياله الجامح صهوة حصان خرافيّ يظهر له فجأة من رسم في السقف، يأخذه إلى قرينته فيرى نفسه في أحد حقولها المطلّة على "وادي تجرّدة"، مسندا ظهره إلى جذع شجرة ظليلة، وغير بعيد عنه صبيّ في العاشرة أو أدنى منها قليلا حافي القدمين.. مغبرّ الرأس، منتشر الشعر.. شاحب الوجه.. يمدّ يدا نحيلة نحو الأغصان، يقطف ثمارا غريبة اللون والشكل.. ومن حين لآخر يُناوله إحداها فيقرّبها من فمه.. وحين يهّم بلثمها ثمّ قضمها تتحوّل في طرفة عين هباء مُنبّئا!...

ومرة تنبثق من أخذود الصّدع أفاع تندلّ من أفواهاها ديدان عملاقة كالجبال.. تقترب من وجهه.. تلتفّ حول عنقه.. تُعلّقه بغصن غليظ من أغصان

تلك الشجرة.. فتشج عضلاته كلها.. ثم شيئا فشيئا تزنجي وتتقلص.. فيسقط يده..
يمدّها بمشقة نحو الطفل.. يستحيره.. لكنّ الطفل يختفي.. يتلعه إعصار قمعي عاتٍ
هبّ فجأة فاستدار وارتفع بالتراب نحو السماء!...

وفي كلّ مرة يختفي فيها الطفل في جوف الإعصار، يغزو رأس شعبان هوسٌ
ويدقّ صدأً فظيع جمجمته، فيبعدُ ناظره عن الرّسم في السّقف.. ويطبق جفنيه
ويغفو!...

وكلّما غفّا.. خادعه غراب البين وهو بين الیقظة والنّوم، فزين له الانتحار
شهادةً والموت عثقا من ظلام الأقبية وقهر الرجال.. وراودته فكرة الانتحار!...

لذلك فرك شعبان عينيه هذه المرة أيضًا وغالب النعاس فغلبه وتحامل على
نفسه، فمدّ يدا متشنجة.. وبأصابع مرتعشة أزاح الحبل عن عنقه.. ثمّ انتصب واقفاً
وابّجه صوب الباب وصاح في وجهه مُزبداً متحدّيا:

« لا.. لن أعطيكُم فرصة تحوي من عالمكم بحجرة قلم خطّها القاضي في دفتر ثمّ
انصرف.. سوف لن تُجهزوا على أحلامي ولن تغتالوا آمالي.. وسوف لن ينال مني
الفتور والانكسار مهما طالّت إقامتي داخل هذه الزّزانة الموحشة، ومهما تناثر
سنون عمري بين جدرانها الباردة الصّماء.. سأكابد مشقة التنقيب والبحث... وفي
يوم ما، سأفكّ رموز هذه الرّسوم وطلاسمها.. وسيُناطُ اللّثام عن الحبايا.. وتُفتح
الملفات!...»

هكذا كان يرّد كلّما ضغطته الكوابيس وأرهقته... فهو يعلم أنّه لو قدّر
لفكرة الانتحار أن تنال منه.. سيحد الجدران ملساء وقضبان الكوة عالية لا تطلّها
يده.. ولتذكّر أنّه جرّد منذ اليوم الأوّل من رباط حذائه ومن كلّ الأشياء التي يُمكن في
لحظة ضعف أن تراوده...